مدينةُ بَربُشتَر الأندلسيَّة (٩٣-٤٩٣هـ/٧١٢-١١٠٠م)
دراسةٌ تاريخيَّة

The Andalusian City of Barbastro (93-493 AH/712-1100 AD)
A Historical Study

إعداد

د. عامر أحمد القُبّج

Dr. Amer Ahmed Al-Qobbaj

أستاذ مشارك، قسم التّاريخ، كلية العلوم الإنسانيَّة والتَّربويَّة، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين

Doi: 10.21608/ajahs.2024.386477

استلام البحث ٦ / ٨ / ٢٠٢٤

قبول البحث ٢٥ / ٨ / ٢٠٢٤

القُبَّج، عامر أحمد (٢٠٢٤). مدينةُ بَربُشتَر الأندلسيَّة (٩٣-٤٩٣هـ/٧١٢-١١٠٠م) – دراسةٌ تاريخيَّة. ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨(٣٣)، ٤٣٧ – ٤٧٦.

http://ajahs.journals.ekb.eg

مدينةُ بَربُشتَر الأندلسيَّة (٩٣-٤٩٣هـ/٧١٢-١١٠٠م) – دراسةٌ تاريخيَّة

المستخلص:

تسلِّطُ هذه الدِّراسةُ الضَّوْء على تاريخ مدينة بَربُشتَر ودوْرها في رسْم معالم الخارطة السِّياسيَّة في الثَّغر الأعلى الأندلسيّ، منذُ الفتْح الإسلاميّ عام ٩٣هـ/٧١٢م. فبيَّنت أهميَّةَ موقعها الجغرافيّ في أقصى شمالِ الأندلس، على الحُدودِ مع مملكة أراغون الإسبانيَّة، والأحداث السِّياسيَّة والعسكريَّة التي دارت على أرضِها وفي قراها وحصونِها، التي شكَّلت ملجأً للمتمرّدين والثّائرين على الدَّولة، منذُ نهاية القرنِ الثّاني الهجريّ/الثّامن الميلاديّ حتّى عصر ملوك الطَّوائف في القرنِ الخامس الهجريّ/الحادي عشر الميلاديّ. ثمَّ تناولَت سياسةَ الممالك الإسبانيَّة تجاه مملكةِ سرقُسطة خلال عهد المقتدر بالله أحمد بن هود، والحملة البابويَّة الصَّليبيَّة ضدَّ مدينة بَربُشتَر، والسَّيطرة عليها عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، والنَّكبة التي حلَّت بسُكّانها، ومِن ثمَّ تحريرها في العام التّالي، وُصولاً إلى سُقوطها النِّهائي بيد بيدرو الأوَّل ملك مملكة أراغون، وخروجِها مِن حوْزةِ الأندلسيّين، عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م.

كلمات مفتاحية: الأندلس، الثَّغر الأعلى، بَربُشتَر، بَربطانية، الممالك الإسبانيَّة.

Abstract:

This study sheds light on the history of the Andalusian city of Barbastro and its role in the political events that took place in al-Thaghr al-Aʿlā (Upper March), since the Islamic conquest in 93 AH/712 AD. It demonstrated the importance of its geographical location in the far north of Andalusia, on the border with the Spanish Kingdom of Aragon, and the political and military events that took place on its land, in its villages and fortresses, which constituted a refuge for rebels and those who revolted against the state, from the end of the 2nd century AH/ 8th AD until the era of the Taifa Kings in the fifth century AH / eleventh AD. Then it dealt with the policy of the Spanish kingdoms towards the Kingdom of Zaragoza during the reign of Al-Muqtadir Billah Ahmed bin Hud, the papal crusade against Barbastro, and its control in 456AH/1064 AD, the catastrophe that befell its inhabitants, and then its liberation in the following year, until its final fall at the hands of Pedro I, King of the Kingdom of Aragon, and its exit from the Andalusian domain in 493 AH/1100 AD.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

Keywords: Andalusia, Upper March, Barbastro, Barbitania, Spanish kingdoms.

مقدّمة

موضوع هذه الدِّراسة هو التّاريخ السِّياسي لمدينة بربُشتر الواقعة في كورة بربطانية بالثَّغر الأعلى الأندلسيّ، منذُ الفتح الإسلاميّ عام ٩٣هـ/٧١٣م، مروراً بأحوالِها خلال عصريّ الإمارةِ والخلافةِ وحقْبةِ ملوك الطَّوائف، حتّى سقوطِها بيد مملكة أراغون الإسبانيَّة عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م. وكان تاريخُ الثَّغر الأعلى قد حظِيَ بنصيبٍ وافرٍ في المصادر والكتابات التّاريخيَّة، إلا أنَّ الدِّراسات الحديثة لم تشتمل على أيّ عملٍ علميّ مستقلّ منشورٍ حول التّاريخ السِّياسي لمدينة بربشتر وحصونها وقراها، إذْ لمْ يتناولَه البعض سوى من زاوية دراسة الحملة الصَّليبيَّة البابويَّة ضدَّ المدينة، والنَّكبة التي حلَّت بسكانها عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، كبحث فيريرو (Ferreiro) حول حصار بربشتر خلال الحملة المذكورة، المنشورِ في مجلَّة التّاريخ الوسيط في هولندا عام ١٩٨٣م، وكما يتَّضح من عنوانه فهو عبارةٌ عن "إعادة تقييم" لدوافع الحملة والقوى المشاركة فيها. ولم يشتمل على أحداثها، بل تناولَ ذلك بصورةٍ سرديَّةٍ تحليليَّةٍ بدون عناوين، كما غابت عنه المصادرُ العربيَّة سوى كتابُ ابن حيَّان القرطبيّ. واقتصرت دراسة الباحثة غادة الغفيلي: الحملة الصَّليبيَّة على مدينة بربُشتر، المنشورة في مجلة آداب جامعة الملك عبد العزيز، بجدة في السعودية، عام ٢٠٢٤م، على الموضوع المذكور، واعتمدت بشكلٍ رئيس على المصادر والمراجع العربيَّة.

وأمّا دراستُنا هذه التي تتناول مختلف جوانب التّاريخ السِّياسيّ لمدينة بربشتر؛ فتسعى إلى تحقيق الأهدافِ المتوخّاة منها من خلال تلمُّس مشكلتها، والإجابة على تساؤلاتها التي تتمحور حول: موقع مدينة بربشتر وأهميتُّه، ودوْرها وحصونها وقراها حتّى نهاية عصر الإمارة الأمويَّة (٩٣-٣٠٠هـ/٧١٢-٩١٣م)، وخلال القرن الرّابع الهجريّ/العاشر الميلاديّ، وبخاصَّةٍ في عهد الخليفة عبد الرَّحمن الثّالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٣-٩٦١م). كما هدفت الدِّراسة إلى التَّعرُّف على أحوالِ بربشتر ضِمن أملاك مملكة سرقُسطة تحت حُكمِ بني هود خلال عصر ملوك الطَّوائف. فضلاً عن الأسباب والدَّوافع والمقدِّمات التي أدَّت إلى توجيه الحملة الصَّليبيَّة البابويَّة ضدَّ المدينة عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، والمذبحة التي ارتُكِبت بحقّ سكّانها، ثمَّ استردادها في العام التّالي، وأثر الخلافات الدّاخليَّة بين خُلفاء المقتدر بالله بن هود في تمكين الممالك الإسبانيَّة من عديدٍ من مدن مملكة سرقسطة وحُصونها، وبخاصَّةٍ مدينة بربشتر التي سقطت بيد مملكة أراغون عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م. وتبيَّن من الدِّراسة أنَّ الثَّغر الأعلى الأندلسيّ بعامَّة، وبربشتر على وجه الخُصوص، في أواخر عهده الإسلاميّ، قد شكَّل صورةً مصغَّرةً لواقع دول الطَّوائف وأحوالها. واتَّبعت الدِّراسةُ المنهجَ التّاريخيَّ

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الوصفيَّ التَّحليلي، إذ استقرأتْ المعلومات من مصادرها العربيَّة والأجنبيَّة، وحلَّلتها، ووصفت ما فيها، لتتساوق وعناوينها النّاظمة لإطارها التّاريخيّ الزّمانيّ والمكانيّ.

تمهيدٌ جغرافيّ

بَربُشتَر (Barbastro) هي مدينةٌ وحصنٌ في ولاية الثَّغر الأعلى الأندلسيّ (Marca Superior)[١]، الواقعةِ في الجزءِ الشَّماليّ الشَّرقيّ من بلادِ الأندلس. وكانت هذه الولايةُ قد استُحدِثت بعد اكتمال أعمال الفتح الإسلاميّ خلال فترةٍ مبكِّرة من عصر الوُلاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م) (مجهول ١٩٨٩: ٣١)، واتَّخذت من مدينة سرقُسطة (Zaragoza) (المدينة البيضاء) حاضرةً لها. ويخترق نهْر إيبرو (Ebro)[٢] أراضي الولاية من مدينة قَلهُرَّة (Calahorra)[٣] حتّى مصبِّه عند مدينة طُرطوشة (Tortosa)[٤] في البحر المتوسِّط (عنان ١٩٩٧: ٢٦٥/٢؛ أرسلان ١٩٣٦: ١٦/٢)، وضمَّت فضْلاً عن العاصمةِ عديداً من المدن والحُصون[٥]. وتميَّزت باتِّساع رُقعتها، ووفْرة مياهها وخِصْب أراضيها وكثْرة غلّاتها الزِّراعيَّة وتنوُّعها (ابن الأبّار ١٩٨٥: ٢٤٦/٢؛ القلقشندي ١٩١٥: ٢٣٢/٥). وتمتَّع موقعُها بأهّميَّة استراتيجيَّة كبيرة، لوقوعها بين جبال ألبرت (Los Pirineos) في النَّواحي الشَّماليَّة الشَّرقيَّة وبقيَّة أنحاء الأندلس، ولمحاذاتها لمناطق النُّفوذ الإسبانيَّة (Esparza 2009: 115)، فشكَّلت حاجزاً بين المنطقتين وحائطَ دفاعٍ أوَّل في وجه الأطماع الإسبانيَّة. ومن ناحيةٍ أخرى، عانت ولايةُ الثَّغر الأعلى من الحروب الدّاخليَّة وحركات التَّمرُّد، لبُعدها عن العاصمةِ قرطبة (Cordoba)، ولتداخُل حدودها مع

---

[١] يُنظَر: الخارطة (Anton 2010: 50). للاطِّلاع على المواقع الجغرافيَّة في الشَّمال الأندلسيّ وموقع مدينة بربُشتر؛ يُنظَر: (البحث، الأشكال ١، ٢، ص: ٢٠).

[٢] **نهر إيبرو**: أو إيبره، ويُسمّى عند العرب بالنَّهر الكبير، وينبعُ من جبال الباسك (Montes Vascos) وجبال قطلونية (Cataluna)، ويمرُّ بسرقسطة، ويصبُّ عند طُرطوشة وطرَّكونة (Tarragona) على البحر المتوسّط (حتاملة ١٩٩٦: ٩١، ٩٥).

[٣] **قلهُرَّة**: تقع على الضِّفَّة الجنوبيَّة من نهر إيبرو في بلاد الباسك (حتاملة ١٩٩٦: ٩٧).

[٤] **طُرطوشة**: مدينة ساحليَّة تتَّصل بكورة بلنسية (Valencia)، وتشتهر بالتِّجارة (الحموي ١٩٧٧: ٣٠/٤).

[٥] أهمُّ مدن الثَّغر الأعلى وحصونه: تُطيلة (Tudela)، وشْقة (Huesca)، لاردة (Lerida)، بَلَغي (Balaguer)، المنار (Almenar)، إفراغة (Fraga)، طرَّكونة، طُرطوشة، سالم (Medinaceli)، طرسونة (Tarazona)، دَرَوْقة (Daroca)، برجة (Borja)، قلعة أيّوب (Calatayud)، بَربُشتَر، بلطانية (Boltana)، مُنتشون (Monzon)، القصر (Alquézar)، شلقوة (Selgua)، وقسمطيون (Antillon) (Cervera 1999: 10; Esteban, Botaya and Garcia 2008: 91). يُنظَر:(خرائط مدن الثَّغر الأعلى وحصونه: Cervera 1999: 7, 9).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

أراضي الممالك المسيحيَّة، وبسبب لجوء الثّائرين والمتمرّدين والطّامعين في الحكم إليها، لاتّخاذها ملاذاً ومعقلاً، وما رافق ذلك من تحالُفاتٍ مع مُختلف القوى الإسبانيَّة.

وعُدَّت بَربُشتَرُ قصبةَ كورة بَرْبَطانِيَة (Barbitania)[٦] وحاضرتها بالثَّغر المذكور (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٧٩/١؛ المقَّري ١٩٨٨: ٤٤٩/٤)، وتقعُ على بُعد ستّين كيلومتراً إلى الشَّمال الشَّرقيّ من مدينة سرقُسطة، كما أنَّها تقع في الجنوب الشرقيّ من مدينة وشقة[٧]، وشماليّ بلدة مُنتشون[٨]، وشماليّ غربيّ مدينة لاردة[٩]، وجنوبيّ مدينة بُلطانية، وبين بَربُشتَر والأخيرة حصنُ القصر[١٠] (أرسلان ١٩٣٦: ١٨٣/٢، ١٩٦). وعلى ما يبدو بأنَّ ببَربُشتَر قد اخذت اسمها من اسم الكورة الواقعة فيها. وتميَّزت طوبوغرافيَّة منطقتها التَّضاريسيَّة بالتَّنوع، حيث تخلَّلتها ثلاثةُ تلالٍ مرتفعةٍ ومتوسِّطةِ الحجم، بينها مسطَّحاتٌ شبه مستوية ذات تربةٍ صالحةٍ للزّراعة، وأما الدّائرةُ التَّضاريسيَّة الأبعدُ فتمثَّلت بجبالِ بيلسا (Bielsa) شديدةِ الانحدار والوعورة (De Asso 1798: 136-137).

---

[٦] **بَرْبَطانِيَة**: منطقة تقع بين مدينتيّ وشقة ولاردة، جنوب الجبل الضّائع (Monte Perdido) (أرسلان ١٩٣٦: ١٩٦/٢)، واشتملت على المدن والحصون الآتية: بَربُشتَر، منتشون، القصر، إفراغة، شلقوة، وقسمطيون. (يُنظَر الخارطة: Cervera 1999: 9). كما اشتملت بربطانية على مدينة بُلطانية، وهي مدينةٌ كبيرةٌ، يتَّصلُ عملُها بعمل لاردة (الحموي ١٩٧٧: ٣٧١/١)، ولها ثلاثةُ أسوارٍ حصينةٍ، وبها أسواقٌ واسعةٌ وحمّاماتٌ، وبها الفواكه والزَّرع (مجهول ٢٠٠٧: ١٣٢). وسمّى الأندلسيّون بُلطانيةَ: بُرطانية وبربطانية، ولهذا أطلقوا الاسمَ الأخيرَ على الكورة كلِّها (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٧٩/١؛ الحموي ١٩٧٧: ٣٧١/١؛ النُّويري، ٢٠٠٤: ٢٠٨/٢٣).

[٧] **وشقة**: أو أشقة، مدينة من أعمال بربطانية في الثَّغر الأعلى، شمال شرق الأندلس، ذات حصونٍ ومعاقل، وتقع على بعد ٨٣ كم إلى الشَّمال الشَّرقي من سرقسطة (الحموي ١٩٧٧: ١٩٩/١).

[٨] **منتشون**: تشتمل على حصنٍ قديمٍ بُني على صخرةٍ عاليةٍ تشرفُ على البلدة (أرسلان ١٩٣٦: ١٨٣/٢، ١٩٦)، واشتُهرت بغنى أراضيها بالأشجار المثمرة وتعدُّد أصناف الفاكهة وكثْرة محاصيلها الزّراعية (De Asso 1798: 140)، وكانت أقرب المواقع الإسلاميَّة المأهولة إلى بَربُشتَر (النَّشّار ٢٠٠٣: ٢٥)، وإلى الشَّرق من منتشون تقع بلدة تمريط (Tamarite) (أرسلان ١٩٣٦: ١٩٦/٢).

[٩] **لاردة**: تقع شرقي وشقة، وتتَّصل أعمالها بأعمال طرَّكونة، ولها عديدٌ من الحصون، وتشتهر ببساتينها وبكثرة الكتّان (الحموي ١٩٧٧: ٧/٥؛ الحِميَري ١٩٨٤: ٥٠٧).

[١٠] **حصنُ القصر**: يقع على الضِّفة اليُمنى لنهر باره (فيرو)، أحد روافد نهر سينكا (Cinca)، الذي يصبُّ في نهر إيبرو. يُنظَر: (خارطة: Anton 2010: 43)

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وتشيرُ المصادرُ الإسلاميَّةُ أنَّ النَّواةَ الأولى لمدينة بَربُشتَر قد بُنِيَت على تلٍّ صخريٍّ مرتفع (العُذري د. ت: ٦١)، يُشرفُ على الضِّفة اليُمنى لنهْر باره أو فيرو (Vero)، الذي سمّاه البكري نهْر تاره[١١] (البكري ١٩٩٢: ٩٠٩/٢). وهذا يتطابقُ مع نتائج المسح الأثريِّ الحديثة، التي رجَّحت بأنَّ نواتَها الرّومانيَّة كانت على تلٍّ يُدعى "صخْرة" سانتا بربارة (Peñón de Santa Bárbara)، ومنه انتشر السُّكّانُ على مدرَّجاتِ التَّلِّ، حيثُ ظهرت أجزاءٌ من أسوارِ المدينةِ القديمةِ في حيّ كامبو دي سان خوان (Campo de San Juan) الحالي (Perez 1985: 1176, 1178).

ومن ناحيةٍ أخرى، يرى الباحثُ أنَّ التَّشابه بين كلمتيّ بربارة وبَربُشتَر ربَّما يدلُّ أنَّ المدينة قد أخذت اسمَها من اسم التَّلِّ المذكور، ما يرجِّح بالفعل أنَّ نواتَها الأولى كانت قد بُنِيَت عليه. ولا يستبعدُ فرضيَّةَ أنْ يكونَ اسمُها قد اشتُقَّ من "بربطانية". وأضاف Perez (1985: 1178) فرضيَّةً أخرى حول موضع نُواتها الأولى، وأفادت أنَّه في المكان الذي يُعرف اليوم بالرَّبض (Arrabal) حيث اكتُشفت بقايا بعض الحمّامات. ويستبعِدُ الباحثُ هذه الفرضيَّة، وبخاصَّةٍ أنَّ الأرباضَ تكونُ خارج أسوار المدن وليس ضمن مسطَّحاتها الدّاخليَّة، إذْ لا تكون نواةُ المدينة في ربضها.

وذكر العُذريُّ (د. ت: ٦١) أنَّ مدينة بَربُشتَر الإسلاميَّة كانت خلال القرن الثّاني الهجريّ/الثّامن الميلاديّ عبارة عن حصنٍ يُعرَفُ باسم مدجار (Madyar) فوق التَّلِّ الصَّخريِّ المذكور. وعُدَّ مِن أعظم حصونِ الثَّغر الأعلى وأكثرها أهميَّةً وقوَّةً (دوزي ١٩٩٥: ٨٢/٣)، واقتضت الزّيادةُ الطَّبيعيَّةُ في عدد سكّانه بناءَ مدينةٍ قادرةٍ على استيعابهم، وبخاصَّةٍ في عهد الخليفة عبد الرَّحمن الثّالث (النّاصر لدين الله) (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٣-٩٦١م)، الذي أمر عمروسَ بن محمَّد بن عبد الملك الطَّويل (ت. ٣٢٣هـ/٩٣٥م) والي وشقة ببنائها وتمصيرها، وذلك في عام ٣٠٦هـ/٩١٨م، فقام ببناء سورها بالصَّخر، كما شاد أبراجَها (العُذري د. ت: ٦٧)، وهذا يعني أنَّ بَربُشتَر بقِيَت حصناً، ولم تتحوَّل إلى مدينةٍ إلا في مطلع عهد الخليفة المذكور.

وكان قلبُ بَربُشتَر الإسلاميَّة يتمثَّلُ في حي انتريمورا (Entremura) اليوم، حيث كان مسجدُها وساحتُه الكبيرة، وفي نهاية الضّاحية الشَّرقيَّة كان سوقُها. وأحيطت المدينةُ بسورٍ حجريٍّ منيعٍ متعرِّجٍ يتوافقُ مع الطِّراز العمرانيِّ الإسلاميِّ في بناء الأسوار، واشتمل على عديدٍ من الأبراج. وأظهرت عمليّات المسْح الأثريَّة أدلَّةً على وجود بابٍ في سورها القبليّ، بجوار المسجد، وأبوابٍ أخرى في النّاحية الغربيَّة، تفتح باتِّجاه مدينة وشقة (Perez 1985: 1178). وعندما ازداد عددُ السُّكان امتدَّت بيوتُها إلى المناطق المنبسطة التّابعة لها خارج الأسوار، كفحص أرنيوش ومنطقة خندق الحور (العُذري د. ت: ٧٠)، ولم يعثر الباحثُ على معلوماتٍ حول

[١١] الأصلُ هو: باره، ولكنَّ استبدال الباء بتاء، ربَّما كان من أخطاء النُّسّاخ.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

هذين الموقعين، ومن ناحية أخرى؛ يتبيَّن ممّا ذُكِر أنَّ مدينة بَربُشتَر تتساوق من حيث التخطيط والتَّنوُّع مع نظيراتها في مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ.

واشتمل عملُ بَربُشتَر على قرى وحصونٍ كثيرة (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢)، منها قرية بَلسَند(بَلشَند)[١٢]، وشلقوة الواقعة بالقرب من مُنتشون (العُذري د. ت: ٥٨، ٦٨)، وحصن مَنْيُونِش (الحموي ١٩٧٧: ٢١٨/٥)، الذي يوافق موضعُه موضع بلدة قرب بَربُشتَر يُقال لها المنية، ويسمّيها الإسبان منية سان خوان (San Juan) (أرسلان ١٩٣٦: ١٨٥/٢). وعُرف من حصونها: قسمطيون والقصر (العُذري د. ت: ٧٠؛ الحموي ١٩٧٧: ٣٧١/١)، والباكَّة (Albaca)[١٣] (الحموي ١٩٧٧: ٣٢٨/١)، الذي ربَّما يكون هو نفسه الحصن الواقع قرب المنار (Almenar)، بين لارِدة وبَربُشتَر، وهو أقربُ إلى لارِدة (أرسلان ١٩٣٦: ١٨٥/٢)، وعدَّ أرسلان (١٩٣٦: ١٨٤/٢) مدينة بربطانية (بلطانية) نفسها من حصون بَربُشتَر. وهذا يدلُّ على أهميَّة بَربُشتَر ومركزيَّة دورها كثغرٍ متقدِّمٍ في منطقة بربطانية في الثَّغر الأعلى.

دور بَربُشتَر في التّاريخ السِّياسيّ حتّى نهاية عصر الإمارة الأموية (٩٣-٣٠٠هـ/٧١٢-٩١٣م)

من المعروف أنَّ أقاصي الجهات الشَّماليَّة من شبه الجزيرة الإيبيريَّة قد فُتحت على يد طارق بن زياد (ت. ١٠٢هـ/٧٢٠م) وموسى بن نُصير (ت. ٩٧هـ/٧١٦م)، وبخاصَّةٍ بعد عبور الأخير في رمضان ٩٣هـ/يونيو ٧١٢م بجيشٍ كبيرٍ معظمه من العرب، حيث وجَّه اهتمامَه لفتح المناطق الغربيَّة، فاستولى على مزيدٍ من المواقع على نهْر الوادي الكبير (Guadalquivir)، وبعد ذلك التقى بطارقٍ في موضع على نهْر التّاج (Tajo)[١٤]، بالقرب من طُليطلة (Toledo)، ثمَّ تابع القائدان سيْرهما شمالاً نحو جبال ألبرت، حتّى بلغا كنتبريَّة (Cantabria)[١٥] عند حدود بلاد الفرنجة الجنوبيَّة، وخلال ذلك أخذت المدنُ تسقط في أيديهما تِباعاً مثل سرقُسطة ووشقة ولارِدة (ابن القوطيَّة ١٩٨٩: ٣٥-٣٦، مجهول ١٩٨٩: ٢٤-٢٧؛ يُنظَر أيضاً:

---

[١٢] **بَلسَند**: أو بَلشَند، من نواحي سرقسطة، وفيها حصنٌ يُعرَفُ ببني خطّاب (الحموي ١٩٧٧: ٤٨٤/١).

[١٣] **البالة** عند العُذري (د. ت: ٧٠).

[١٤] **نهر التّاج**: أو تاجُه، أطول أنهار الأندلس، ينبُع من مويلا دي سان خوان (Muela de San Juan)، ثم يعبر وادي الحجارة (Guadalajara)، ويخترق طُليطلة وطلبيرة (Talavera)، ويصبُّ في خليج أشبونة (Lisbon) (حتاملة ١٩٩٦: ٨٥-٨٦).

[١٥] **كانتبريّا**: منطقة تقع بين جبال بينا أمايا (Pena Amaya) وجبال لاريوخا (La Rioja) جنوب بلاد الباسك، وتصل حوافُّها إلى بحر كنتبريّا على الأطلسي، ومنها ينبُع نهرا إيبرو ودويرة (Duero) (حتاملة ١٩٩٦: ٣٦؛ Anton 2010: 18).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

العبّادي د. ت: ص٣٧)، ولا بدَّ أن يكون حصن بَربُشتَر قد فُتح في الفترة الواقعة بين (٩٣-٩٥هـ/٧١٢-٧١٤م)، وبخاصَّةٍ خلال أعمال الفتح التي جرت في المناطق المذكورة، نظراً لوقوعه ضِمن نطاقها الجغرافيّ، ولكنَّ المصادر التّاريخيَّة لا تذكر بَربُشتَر بالاسم.

وبدأ حصنُ بَربُشتَر أوَّل فصول تاريخه الأندلسيّ ضمن ما عُرف بعصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م)، وتداول على حُكمه ولاةٌ كان يتمُّ تعيينهم في معظم الأحيان على يد حكّام ولاية الثَّغر الأعلى. وتجدُر الإشارةُ أنَّ تاريخ حصن بَربُشتَر قد ارتبط بشكلٍ وثيقٍ بالأحداث السِّياسيَّة والعسكريَّة التي دارت في مدن الولاية المذكورة، وبخاصَّةٍ مدينة وشقة القريبة منه. وممّا ميَّز هذه الأحداث التَّنافس الشَّديد بين مختلف القوى الإقليميَّة على السَّيطرة على مدن الثَّغر وحصونه؛ لما لها من أهميَّة استراتيجيَّة باعتبارها قواعد دفاعيَّة وهجوميَّة، فضلاً عن أهميَّتها الاقتصاديَّة؛ لما يلحقُ بها من أراضٍ زراعيَّة وأشجارٍ وثمارٍ، ما أضفى على الصِّراع حولها طابَعاً اقتصادياً أيضاً (بوتشيش ١٩٨٥: ٢٣٢).

وصمتت المصادرُ التّاريخيَّةُ عن ذكر أيّ دوْرٍ لحصن بَربُشتَر منذ الفتح حتّى أواخر القرن الثّاني الهجريّ/الثّامن الميلاديّ، إذ بقيت أوضاعُه مستقرَّةً على ما يبدو حتّى قيام حركات التَّمرُّد في الثَّغر الأعلى، فظهر دورٌ لها خلال صراع بني سلَمَة التُّجيبيّين، ذراع إمارة قرطبة في الثَّغر المذكور، مع الثّائر بهلول بن مرزوق خلال (١٨١-١٨٦هـ/٧٩٧-٨٠٢م). ففي نهاية القرن المذكور خضعت وشقة وبَربُشتَر لحُكم بني سلَمَة، وعانى النّاس من ظُلمهم وجورهم، ثمَّ قيل لهم "إنَّ مُلككم زائلٌ وإنَّ ذلك إنَّما يكون من جهة بربطانية"، فتسلَّل إلى نفوسهم هاجسٌ بأنَّ ذلك سيكون على يد أحد كبار زعماء المولَّدين، مرزوق بن أُسكري وبنيه الثلاثين. وبالفعل، فقد قام هؤلاء بالسَّيطرة على قصر مونش(Qasr Muns)[١٦] المنيع، أحد حصون بربطانية. فعزم بنو سلَمَة على إجلائهم عنه، ولكنَّ مرزوقاً رفض ذلك، وفاوضهم على أنْ يُعطيهم رهائنَ من بعضِ أهلهِ مقابل البقاء في الحصن، فرضوا بذلك وأخذوا الرَّهائن وانصرفوا، وكان في جملتهم بهلولُ بن مرزوق، فضمَّه والي وشقة التُّجيبيّ إلى حاشيته، ثمَّ ما لبث أن سرق أموالاً من بلاط بني سلَمَة بالإضافة إلى جاريةِ الوالي، وفرَّ من وشقة. وبعد ذلك قصد بهلولٌ قرية شلقوة بالقرب من مُنتشون، من عمل

[١٦] **قصر مونش**: أو قصر مونس، وربَّما مؤنس، يقع إلى الشَّمال الشَّرقي من بَربُشتَر، وهو من مراكزها الحدوديَّة الحصينة والمهمَّة، ومن أهمّ قلاع منطقة بربطانية، وبقي يلعب دوراً محوريّاً في ميدان الصِّراع خلال الفترة الواقعة منذ القرن الثّاني الهجريّ/الثّامن الميلاديّ، وكان يحكُمه خلال الفترات المتعاقبة أمراءٌ من أقوى العائلات المولديَّة، ويتبعون وشقة، تحت نظر الدَّولة (Esteban, Botaya and Garcia 2008: 93).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

بَربُشتَر، وكان عاملُ بني سلَمَة عليها حينذاك سيءَ السِّيرة، يسخِّر أهلَها ويؤذيهم بعُسفه وظُلمه، فاستغلَّ بهلول ذلك وصار يحرِّض النّاس عليه وعلى بني سلَمَة، ثمَّ قام وجماعةٌ من أهل القرية بقتْله. وبعد أن انضمَّ إليه جماعةٌ منهم رحل بهلولٌ عن القرية، وتمكَّن من إلحاق الهزيمة ببني سلَمَة في غير موقعةٍ، إلى أنْ ملك عديداً من المدن وعلى رأسها سرقُسطة ووشقة (العُذري د. ت: ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠)، وبَربُشتَر أيضاً (Esparza 2009: 116). فأصبح بذلك سيَّد حوض نهْر إيبرو، بالاعتماد على سكّان المناطق الجبليَّة المحيطة ببَربُشتَر، حيث كانوا يشكِّلون قوَّته الرَّئيسة، ثمَّ ما لبث أن تحالف مع الفرنجة ضدَّ الأمير الحكم الربضيّ (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)، ما جعل كورةَ بربطانية عُرضةً لأخطار مختلف القوى المسيحيَّة (Lacarra 1972: 45).

ومن أجل استعادة سيادة الدَّولة إلى الشَّمال، وجه الحكمُ الربضيُّ ضدَّ بهلولٍ عديداً من الحملات، كانت أقواها تلك التي قادها عمروسُ بن يوسف (ت. ١٩٨هـ/٨١٤م)[١٧]، الذي تمكَّن مِن استعادةِ مدينةِ سرقُسطة، فهرب بهلولٌ منها وتحصَّن في وشقة، وهناك ثار عليه خلفُ بن راشد بن أسد (ت. ٢٤٨هـ/٨٦٢م)، من أهلِ أحدِ حصونِ كورةِ بربطانية (العُذري د. ت: ٦٠)، وتمكَّن من قتْل عددٍ كبيرٍ من أنصاره، ثمَّ اتَّخذ خلفٌ وأنصارُه من حصن بَربُشتَرٍ قاعدةَ انطلاق لمطاردته، إلى أنْ أدركوه وحاصروه في غارٍ بجانب بلیارش (Pallars)[١٨]، وقتلوه فيه عام ١٨٦هـ/٨٠٢م، فصار يُعرف بغارِ بهلولٍ، واستولى خلفٌ على جميع أملاكه (العُذري د. ت: ٦١)، ومكافأةً له، عيَّنه الأميرُ حاكماً على بَربُشتَر، وبقي عمروسٌ حاكماً لسرقُسطة وتُطيلة[١٩] (Esparza 2009: 116). وطال ملكُ خلفٍ لمدَّة ستّين سنة إلى أنْ توفِّي ببَربُشتَر، ودُفن بمقبرةٍ تقع إلى الغرب منها تُعرف بصخرة الغِربان (العُذري د. ت: ٦١).

وخلال عهد الأمير محمَّد بن عبد الرَّحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٢هـ/٨٥٢-٨٨٥م)، خضع الثَّغر الأعلى الأندلسيُّ لحُكم قبيلة بني تُجيب العربيَّة، التي ظهرت بقوَّة على الخارطة السِّياسيَّة؛ وبخاصَّةٍ بعد استعانته بأولاد عبد العزيز بن عبد الرَّحمن بن عبد

---

[١٧] **عمروس بن يوسف**: كان في خدمة مطروح بن سليمان الأعرابي (ت. ١٧٦هـ/٧٩٢م)، فقتله، ولمّا قدِم قرطبةَ ولّاهُ الحكمُ طلبيرةَ ثمَّ طُليطلة، وتولى حكم ولاية سرقسطة خلال عهد الأمير الحكم الربضي، وغزا بمبلونة (Pamplona) غيرَ مرَّة، ومات بسرقسطة عام ١٩٨هـ/٨١٤م، ويُقال بتُطيلة عام ١٩٣هـ/٨٠٩م (العُذري د. ت: ٢٨).

[١٨] **بلیارش**: منطقة بين قطلونية وأراغون. يُنظَر: (الخارطة: Anton 2010: 43).

[١٩] **تُطيلة**: تتَّصل بأعمال وشقة، غزيرةُ المياه، كثيرةُ الأشجار، اختطَّها الأمير الحكم الربضيّ شمال غرب سرقسطة، على الضِّفة اليسرى لنهر إيبرو، وبينها وبين سرقسطة ١٧ فرسخاً (الحموي ١٩٧٧: ٣٣/٢؛ أبو الخيل ٢٠٠٢: ٣٧).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الله بن المهاجر التُّجيبي[٢٠]، بهدف إخماد ثورات بني قَسيّ[٢١] (يُنظَر شجرة نسبهم: Cervera 1999: 23)؛ فأمَّرهم على الثَّغر وبنى لهم قلعةَ أيّوب[٢٢] ودَرَوْقة[٢٣]. ولعبت كورةُ بربطانية، بما فيها حصن بَربُشتَر وأعماله دوْراً في ذلك، وبخاصَّةٍ خلال تصدّي الدولة لثورة اسماعيل بن موسى بن موسى بن فرتون بن قسيّ (ت. ٢٧٠هـ/٨٨٤م) وإخوته. وكان هؤلاء قد اتَّخذوا من مدينة تُطيلة قاعدةً لهم، ثمَّ تقدَّم إسماعيلُ إلى مدينة سرقُسطة، فدخلها في ٧ربيع الأوَّل ٢٥٨هـ/٢٥يناير ٨٧٢م، وكان عاملُها للأمير محمَّد بن عبد الرَّحمن الأوسط هو محمَّدُ بن وهيب، وانضمَّ إلى إسماعيل أخوهُ لبٌّ، فقبضا على عاملها وأبنائه، وتمكَّن إسماعيلُ من السَّيطرة على حصن مُنتشون، أقربِ المواضع المأهولةِ على بَربُشتَر، ثمَّ تقدَّم إلى وشقة فدخلها في ١٢ربيع الأوَّل/٢٦يناير، فغزته صوائفُ الأمير محمَّدٍ وتمكَّن عاملُ برْبَطانِية عبدُ الله بن خلف بن راشد من إلقاء القبض عليه وتسليمه للأمير خلال صائفةٍ له إلى تلك النَّواحي عام ٢٥٩هـ/٨٧٣م، ولمّا قفل من الصّائفة أطلق سراحَه، فانصرف إسماعيلُ إلى حصن مُنتشون وتزوَّج ابنة عبدَ الله بن خلف، فوُلد له منها ولداً سمّاه محمَّداً، وبعث في عبد الله وأولاده الثَّمانية ليحضروا عقيقتَه، وعندما وفدوا عليه غدر بهم وقتلهم، ولمّا بلغه أنَّ الأميرَ محمَّداً قادمٌ بالصّائفة، استعصم بمدينة وشقة وتغلَّب على بَربُشتَر والقصر وبربطانية كلِّها، ثمَّ تردَّدت صوائفُ الأمير على إسماعيل غيرَ مرَّةٍ، دون أنْ تتمكَّن من التَّغلُّب عليه، إلى أن تمكَّن المنذرُ ابنُ الأمير من إلحاق الهزيمة به عام ٢٦٨هـ/٨٨٢م، فلجأ مرَّة أخرى إلى حصن منتشون، وقُتل فيه عام ٢٧٠هـ/٨٨٤م، ما مكَّن قرطبةَ من استعادة مدينة سرقُسطة وأعمالها (العُذري د. ت: ٣٢-٣٤، ٤١).

وفي مطلع عهد الأمير المنذر بن محمَّد (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م)، يبدو أنَّ حصن بَربُشتَر كان يشهد حالةً من التَّمرُّد، ما اضطرَّه عام ٢٧٣هـ/٨٨٦م إلى قيادة

---

[٢٠] **عبد العزيز بن عبد الرَّحمن بن عبد العزيز التُّجيبي**: كان في الأصل صنيعةَ المنذر ورفيقَه في غزواته إلى سرقُسطة وبمبلونة قبل إفضاء الإمارة إليه، وصار بعد ذلك من أقرب المقرَّبين منه (العُذري د. ت: ٥٣).

[٢١] **بنو قسيّ**: ينحدرون من جدِّهم الأعلى، قَسيّ، الذي كان حاكماً على الثَّغر الشَّماليّ الشّرقيّ في أيّام القوط، واتَّخذ حينذاك من تُطيلة مركزاً له. أسلم على يد الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك (٨٥-٩٥هـ/٧٠٤-٧١٤م)، وحذا قومُه حذوه. تصاهر بنو قسيّ مع البشكنس، وثاروا على الدَّولة في عهد الأمير الحكم (السّامرّائي ١٩٧٦: ٢٨٩، ٣٠٠-٣٠١).

[٢٢] **قلعة أيوب**: قلعة رائقة البقعة، حصينة، شديدة المنعة، كثيرة الأشجار والثِّمار، كثيرة الخصب، وهي قريبة من مدينة **دَرَوْقة**، بينهما ثمانية عشر ميلاً (الحِميَري ١٩٨٤: ٤٦٩).

[٢٣] **دَرَوْقة**: مدينة متحضِّرة من عمل قلعة أيوب، في سفح جبل، كثيرة البساتين، وبينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً (الحِميَري ١٩٨٤: ٢٣٥).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

صائفته الأوَّلى لاستعادته، وشاركه في ذلك حاكم دَرَوْقة عبد العزيز بن عبد الرَّحمن التُّجيبي (العُذري د. ت: ٥٣). وفي عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م قلَّد الأميرُ عبدُ الله بن محمَّد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٣م) الثغرَ الأعلى أبا يحيى الأنقر، محمَّد بن عبد الرَّحمن التُّجيبي (ت. ٣١٢هـ/٩٢٤م)، بعد أنْ قام بقتل واليه أحمد بن البراء بن مالك القُرَشيّ (ت. ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، بالتَّواطؤ مع الأمير (ابن القوطيَّة ١٩٨٩: ١٢٣-١٢٤؛ العُذري د. ت: ٤١)، إلا أنَّ حُكم بني تُجيبٍ في سرقُسطةَ لم يدُم طويلاً، حيث انتزعها منهم محمَّدُ بن لب بن قسي. وبعد أن أسند الأميرُ حُكم وشقة وبربطانية لمحمَّدِ بن عبد الملك بن عبد الله بن شبريط ابن راشد، المعروف بالطَّويل (ت. ٣٠١هـ/٩١٤م)، زحف إلى سرقُسطة وقتل المتغلِّب عليها ابن قسيّ المذكور، وعلى إثرِ ذلك قدِم لبٌّ بن محمَّد بن لبٍّ من طُليطلة عام ٢٨٥هـ/٨٩٨م، وتمكَّن من دخول سرقُسطة، ثمَّ زحف إلى وشقة، وأنزل بالطَّويل هزيمةً ساحقةً واقتاده إلى سرقُسطة، إلى أن افتدى نفسَه، فأُطلق سراحُه (العُذري د. ت: ٦٥)، وبذلك تكونُ وشقة وبربطانية قد خضعت مرَّةً أخرى لحُكم بني قسيّ.

مدينة بَربُشتَر من مطلع القرن الرّابع الهجريّ/العاشر الميلاديّ حتى عصر ملوك الطوائف

حظي بنو تُجيب بمزيدٍ من الاهتمام في عهد الخليفة عبد الرَّحمن الثّالث، فأقرَّ على ولاية الثغر الأعلى محمَّدَ بن عبد الرَّحمن بن عبد العزيز التُّجيبي (ت. ٣١٢هـ/٩٢٤م)، ثمَّ قلَّدها ابنَه هاشماً، وحكمها من بعده أبناؤه يحيى (ت. ٣٤١هـ/٩٥٢م) وعبد الرَّحمن (ابن القوطيَّة ١٩٨٩: ١١٢، ١٢٤؛ Cervera 1999: 33). وأما بَربُشتَر فكان يحكمُها باسم الدَّولة عمروسُ بن محمَّد بن عبد الملك الطَّويل (ت. ٣٢٣هـ/٩٣٥م)، إلا أنَّه ما لبث عام ٣٠١هـ/٩١٤م أن تحالف مع كلٌّ من ملك نافار (Navarra) سانشو غارسيس الأوَّل (Sancho Garces I) (٢٩٢-٣١٣هـ/٩٠٥-٩٢٥م) وكونت ريباغورثا (Ribagorza) وبلياريش (Pallars)[٢٤] رامون الأول (Ramon I) (٢٥٨-٣٠٨هـ/٨٧٢-٩٢٠م)، وقاموا بانتزاع حصن مُنتشون من الوالي محمَّد التُّجيبي المذكور (العُذري د. ت: ٤٢)، وإلحاقه بوشقة التي كان يحكمها وأعمالها محمَّدُ بن عبد الملك الطَّويل، وبعد مقْتَله على يدِ الإسبان خلال إحدى غزواته على برشلونة عام ٣٠١هـ/٩١٤م، خلفه عليها ابنُه عبدُ الملك بن محمَّد الطَّويل (ت. ٣٠٦هـ/٩١٨م)، فأقرَّ أخاه عمروساً على حصن مُنتشون (العُذري د. ت: ٦٦).

---

[٢٤] **ريباغورثا وبلياريش**: المنطقة الأولى تقع بين نهريّ سينكا ونوغيرا ريباغورثانا (Noguera Ribagorzana)، ومدينتها الرَّئيسة هي رودا (Roda)، وإلى الشَّرق من ريباغورثا تقع بلياريش (Castro 1946: 661) (يُنظَر: الخارطة: Anton 2010: 43).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ولم يدُم حكمُ بني الطَّويل للمواقع المذكورة طويلاً، إذ تمكَّن حاكم تُطيلة عبدُ الله بن محمَّد بن لبّ بن موسى بن موسى بن فرتون بن قسي (ت. ٣٠٣هـ/٩١٦م) من انتزاع حصن مُنتشون ومدينة بَربُشتَر والقصر منهم عام ٣٠٢هـ/٩١٥م، وردّاً على ذلك أرسل حاكمُ وشقة عبد الملك بن محمَّد الطَّويل عام ٣٠٣هـ/٩١٦م جيشاً لمحاربة بني قسيّ، وتمكَّن من هزيمتهم في أحواز بَربُشتَر، فاستغلَّ ملكُ نافار سانشو غارسيس الأوَّل هذه الهزيمة وزحف إلى تُطيلة، فخرج له عبدُ الله بن محمَّد بن قسيّ (ت. ٣٠٣هـ/٩١٦م) وطارده حتّى وصل إلى منطقة جبليَّة على بعد ثمانية أميال جنوبيّ بمبلونة[٢٥]، فدارت الدّائرةُ على بني قسيّ، وقُتل من أهل تُطيلة ألفُ فارسٍ، وأُسِر عبدُ الله عام ٣٠٣هـ/٩١٦م، ثمَّ افتداه قومُه، إلا أنَّه ما لبث أن توفِّي في العام المذكور، وخلفه ابنُه محمَّدُ بن عبد الله بن محمَّد بن لب بن قسي (ت. ٣١١هـ/٩٢٣م) (العُذري د. ت: ٣٨).

وفي عام ٣٠٦هـ/٩١٨م أقدم عمروسُ بن محمَّد بن عبد الملك الطَّويل على قتْل أخيه عبد الملك، ثمَّ ملك وشقةَ وضبطها، ولكنَّه أساء السّيرة في أهلها، فثاروا عليه، ما اضطرَّه إلى الهرب إلى مدينة بَربُشتَر والقصر في ٨رمضان٣٠٦هـ/١٦ فبراير ٩١٩م، فقدَّم أهلُ وشقة على أنفسهم أخاه فرتونَ بنَ محمَّد (ت. ٣٢٧هـ/٩٣٩م)، وخاطب عمروسٌ الخليفةَ عبدَ الرَّحمن النّاصر التَّسجيل له على بَربُشتَر ولاردة، فسجَّل له عليهما (العُذري د. ت: ٦٦-٦٧). وفي العام التّالي تمكَّن محمَّدُ بن عبد الله بن محمَّد بن لب بن قسي بمساعدة ابن عمِّه محمَّدِ بن لب (ت. ٣١٧هـ/٩٢٩م) من استعادة بَربُشتَر ومنتشون وبَلَغي[٢٦] وحصن أجيرة من بني الطَّويل، ولكنَّه ما لبث أن قُتل عام ٣١١هـ/٩٢٣م على يدِ قوات سانشو غارسيس الأوَّل خلال جولةٍ له في بعض حصونه، فقام ابن عمِّه محمَّدُ بن لبّ بضبط المواقع المذكورة، وأقام في لاردة. وبعد أربعة أعوام من إقامته فيها، قام أهلُها بطرده منها، وذلك في السّابع عشر من صفر ٣١٥هـ/الثّاني والعشرين من إبريل٩٢٧م، وحينها استغلَّت قرطبة هذه الأحداث ووجَّهت القائدَ هاشم بن محمَّد بن عبد الرَّحمن التُّجيبي (ت. ٣١٨هـ/٩٣٠م) لقتاله، ما اضطرَّ ابنَ لبٍّ للهروب إلى وشقة، وبقي فيها إلى أن دعاه صهرُه كونت ربراغورثا وبليارش رامون الأول لاستضافته، فلما استقرَّ عنده غدر به وقتله في جمادى الآخرة ٣١٧هـ/يوليو ٩٢٩م (العُذري د. ت: ٣٩-٤٠).

---

[٢٥] **بمبلونة**: بينها وبين سرقسطة ١٢٥ ميلاً، وتُحيط بها جبالٌ شاهقة (الحِميَري ١٩٨٤: ١٠٤)، وكانت قد خرجت من حوْزة الأندلسيّين عام ١٨٢هـ/٧٩٨م، بعد أنْ قتل أهلُها عاملَها الأمويّ مطرِّف بن موسى بن قسيّ، واختاروا زعيماً بشكنسيّاً (بروفنسال ٢٠٠٠: ١٤٨).

[٢٦] **بلغي**: من أعمال لاردة، ذات حصون عديدة (الحموي ١٩٧٧: ٤٨٨/١).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ولم يتوقَّف الصِّراع بين بني الطَّويل وبني قسيّ، ودارت عديدٌ من الحُروب بينهم، ما اضطرَّ الدَّولة إلى بذل الجهود من أجل إخضاع تمرُّداتهم، فاستنزف ذلك كثيراً من طاقتهم، إلى أن انتهى بهم الحالُ إلى الضَّعف، وفي رجب من عام ٣١٩هـ أُسر عمروسُ بن محمَّد بن عبد الملك الطَّويل على يد أبي بكر بن يحيى التُّجيبي بناحية بلسند من عمل بَربُشتَر، ثمَّ افتدى عمروسٌ نفسَه بالمال ورهائن من أهل بيته أودعهم لدى التُّجيبيّين في سرقُسطة، وقدِم عمروسٌ إلى بلاط عبد الرَّحمن النّاصر واستقرَّ في خدمته حتّى وفاته في الأوَّل من رجب٣٢٣هـ/الخامس من يونيو٩٣٥م (العُذري د. ت: ٦٨).

وفي عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م قاد الخليفةُ عبد الرَّحمن النّاصر صائفةً إلى الثِّمال، وعندما وصل إلى سرقُسطة أمر أميَّةَ بن إسحق قائدَ مقدِّمة جيشه بالخروج في جملةٍ من الخيل إلى بَربُشتَر، فاحتلَّ بها، وكانت وقتذاك تحت حكم محمَّد بن عبد الله بن حُدير أمير وشقة، فتخلّى ابن حدير لأمية عن بَربُشتَر، ونقل منها عيالَ عمروسٍ وولده إلى وشقه، ثمَّ نقل وجوهَ رجاله الى قرطبة. وفي العام المذكور ولّى عبدُ الرَّحمن النّاصر الوزيرَ أحمد بن محمَّد بن إلياس (ت. بعد ٣٣٢هـ/٩٤٤م) على سرقُسطة ووشقة مع ما كان بيده من عمالة بلنسية[٢٧] وطُرطوشة، ولكنَّ أهل وشقة ما لبثوا أن تمرَّدوا على عليه بسبب ظُلمه لهم، واستغاثوا بأبي يحيى، محمَّدِ بن هاشم بن محمَّد التُّجيبي (ت. ٣٣٨هـ/٩٤٩م)، فبعث أخاه هذيلَ بن هاشم لنجدتهم، ما مكَّنه من طرد الوالي ابن إلياس في ١٨ربيع الأوَّل٣٢٥هـ/٧فبراير ٩٣٧م، ولكنَّ الأخير لم يقف مكتوفَ الأيدي حيال ذلك، حيث دارت بينه وبين محمَّد بن هاشم التُّجيبي حروبٌ كثيرةٌ التقى به في بعضها بموضع يدعى البالة من عمل بَربُشتَر، فقُتل وأُسر عددٌ من الطرفين، وعُرف من القتلى من أصحاب التُّجيبي سهلُ السهلي، وأُسر موسى بن عامر بن أبي جوشن من أصحاب ابن إلياس. ثمَّ التقى الأخيرُ بمحمَّدٍ ويحيى ابني هاشم التُّجيبيّ بفحص أرنيوش التّابع لبَربُشتَر وحصن قسمطيون على نهْر بارة، فاحتدم القتال بين الفريقين، وهُزم التُّجيبيّون حتّى انتهوا إلى خندق الحور بالقرب من بَربُشتَر، وقَتلَ ابنُ إلياس من أهل وشقة وبَربُشتَر ما يزيد على مائتين. وتقدَّم القائدُ ابنُ إلياس إلى مدينة وشقة، فأخرج عنها هذيلَ بن هاشم وملكها في ١٥جمادى الآخرة/٣٢٥هـ/٤مايو ٩٣٧م، كما تمكَّن من انتزاع بَربُشتَر من حاكمها يحيى بن

[٢٧] **بلنسية**: مدينةٌ في شرق الأندلس، على نهرٍ جارٍ، مركزها يبعدُ عن البحر ثلاثة أميال، بينها وبين قرطبة على طريق بجانّة (Pechina) ستّة عشر يوماً. لها سورٌ وأربعةُ أبواب. عرفت بازدهارها زراعيّاً وتجاريّاً، وبخاصَّةٍ أنَّ أعمالها كثيرةٌ، تزيدُ على ألفٍ وستمائة قرية (الحميري ١٩٨٤: ٩٧؛ مجهول ٢٠٠٧: ١٣٣).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

هاشم، وعيَّن عليها عاملاً من طرفه، وهو إلياس بن سليمان، وذلك في ١٨جمادى الآخرة/٧مايو من العام المذكور (العُذري د. ت: ٦٨، ٧٠-٧١).

ويبدو أنَّ إقامة ابن إلياس في وشقة لم تدُم طويلاً، ذلك إنَّه خلال صائفة عبد الرَّحمن النّاصر ضدَّ غاليسيا (Galicia)[٢٨]، نزل بوادي الحجارة[٢٩]، وهناك ولّى على وشقة وبَربُشتَر موسى بنَ محمَّد بن عبد الملك الطَّويل (ت. ٣٤٣هـ/٩٥٤م)، في ٢١جمادى الأوَّلى٣٢٨هـ/٨مارس٩٤٠م، وبقي والياً عليهما حتّى توفِّي في ٢٠شعبان٣٤٣هـ/٢٣ديسمبر ٩٥٤م، ودُفن برحبة جامع وشقة. وبدلاً منه، ولّى الخليفةُ عبدَ الملك بن موسى بن محمَّد بن عبد الملك، ثمَّ أشرك معه يحيى بن لب بن محمَّد بن عبد الملك في عام ٣٤٦هـ/٩٥٧م، ثمَّ أفرد عبد الملك بوشقة في ٢٨جمادى الأوَّلى٣٤٨هـ/١٠أغسطس٩٥٩م (العُذري د. ت: ٧١-٧٢)

وأما بَربُشتَر والقصر وأعمالهما وحصونهما، فولى عبدُ الرَّحمن الناصر عليها يحيى بن محمَّد بن عبد الملك الطَّويل (ت. ٣٤٠هـ/٩٥١م)، فاحتلَّ ببَربُشتَر في ١٠شعبان٣٣٠هـ/٤مايو ٩٤٢م، وظل على ولايته إلى أنْ أسره المجوس الذين هاجموا لاردة وسرقُسطة في العام المذكور، ثمَّ افتداه رجلٌ من التُّجّار بألف مثقالٍ، فأمر الخليفةُ للتّاجر بضعف ما دفع، وصرف يحيى إلى بَربُشتَر، فدخلها يوم ٣شعبان٣٣١هـ/١٦أبريل٩٤٣م، وظل فيها حتّى توفِّي في رجب٣٤٠هـ/ديسمبر ٩٥١م، ودفن بمقبرتها، فحلَّ محله على بَربُشتَر لبُّ بن محمَّد بن عبد الملك في ٣محرَّم٣٤٣هـ/١٣مايو ٩٥٤م، وبقي على ولايته فيها حتّى توفِّي في ١٣شوال٣٤٤هـ/٣فبراير ٩٥٦م. ولمّا توفِّي لبُّ بن محمَّد ولّى الخليفةُ مكانَه ابنَه يحيى بن لبّ بن محمَّد بن عبد الملك ثمَّ أشرك معه عبد الملك بن موسى بن محمَّد بن عبد الملك على ولايته ببَربُشتَر ووشقة في عام ٣٤٦هـ/٩٥٧م، ثمَّ أفرد يحيى بن لب بعمالة بَربُشتَر في ٢٨جمادى الأوَّلى٣٤٨هـ/١٠أغسطس٩٥٩م (العُذري د. ت: ٧٢-٧٣).

وأخيراً، اتَّخذت عديدٌ من الغزوات الإسلاميَّة مدينة بَربُشتَر وحصونها ممرّاً للقوّات أو قواعد انطلاق نحو الأراضي الإسبانيَّة، ففي ١٢شوال٣٩٦هـ/١١يوليو١٠٠٦م خرج المظفَّر سيف الدَّولة، عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر

---

[٢٨] **غاليسيا**: تقع في إقليم أستورياس في أقصى شمال غرب البلاد، بين أورتيجال (Ortegal) وفنستيري (Finisterre)، وتتَّجه اتِّجاهاً شماليّاً جنوبيّاً حتّى رأس بثنت (Vicent)، وتشتمل على جبالٍ شاهقةٍ وأوديةٍ وخلجانٍ عميقة (حتاملة ١٩٩٦: ٥٥).

[٢٩] **وادي الحجارة**: تُعرف بمدينة الفَرَج. بينها وبين طُليطلة خمسةٌ وستّون ميلاً، وتبعُد عن مدينة سالم خمسون ميلاً، ولها سورٌ حصينٌ، وبالقُرب منها نهرٌ صغيرٌ، وتشتهرُ بالزَّعفران (الحميري ١٩٨٤: ٦٠٦).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

(٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠٢-١٠٠٨م) قاصداً بمبلونة عاصمة مملكة نافار، التي كانت آنذاك تحت حكم الملك سانشو غارسيس الثّالث (Sancho Garces III) (٣٩٤-٤٢٦هـ/١٠٠٤-١٠٣٥م)، وهي الرّابعة من غزواته في دولته، فعرَّج على مدينة سرقُسطة، ثمَّ وصل إلى وشْقة، ثمَّ بَربُشتَر، ومنها دخل إلى أرض مملكة بمبلونة في إقليم الباسك يوم ١٤ ذي القعدة/١١ أغسطس، فأغار على بسيط حصن أبنيونش (Abinunash) وقد فرَّ أهلُه وخلّوه، فهدمه، ثمَّ رحل عنه إلى حصن شنت يوانش (San Juan Pie de Puerto)، فجالت الخيل في بسائطه نهباً وتخريباً، وما زال العسكرُ يجول في بلاد العدوّ يسبي ويقتل ويحرق ويهدم حتّى هطلت أمطار رعديَّة غزيرة؛ فدبَّ الذُّعر في صفوف مقاتليه، ما أجبره على العودة (ابن عذاري ٢٠١٣: ٣٠٤/٢). ولعل آخرَ ذِكرٍ لمدينة بَربُشتَر قُبَيْل دخول عصر ملوك الطَّوائف، فكان على لسان العُذري (د. ت: ٧٣)، الذي ذكر أحدَ وُلاة وشقة وبَربُشتَر في عهد الخليفة أبي أيّوب سليمان المستعين (٤٠٠-٤٠٧هـ/١٠١٠-١٠١٦)، وهو أبو يحيى محمَّدُ بن صمادح بن محمَّد بن أحمد.

قيام مملكة بني هود في الثَّغر الأعلى، وجهود المقتدر بن هود في توطيد أركان حكمه

انتهى حكم بني تُجيب في الثَّغر الأعلى بعد مقتل آخر وُلاتهم، مُنذر بن يحيى بن مُنذر بن يحيى التُّجيبيّ على يد ابْنِ عمٍّ له يُسمى عبد الله بن الحكم بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن هاشم التُّجيبي، وذلك في ذي الحجَّة ٤٣٠هـ/سبتمبر ١٠٣٩م، ودعا القاتلُ لحاكم مدينة لارِدة، أبي أيّوب، المستعين بالله، سليمان بن محمَّد بن هود بن عبد الله الجذامي (٤٣١-٤٣٨هـ/١٠٤٠-١٠٤٦م)، الذي ينحدر من بيتٍ أزديٍّ عربيّ عريق، فحثَّ الخطى نحو سرقُسطة وملكها في محرَّم ٤٣١هـ/سبتمبر١٠٣٩م حتّى وفاته عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م (ابن الأبّار ١٩٨٥: ٢٤٦/٢-٢٤٧؛ مجهول ٢٠٠٧: ٢٥٤-٢٥٥)، وبذلك يكونُ الثَّغرُ الأعلى قد دخل في حقبة تاريخيَّة جديدة، والتي تمثَّلت بعصر ملوك الطَّوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ)[٣٠].

---

[٣٠] يرى الباحثُ بني ياسين (٢٠١١: ١١٣، ١٢١) ضرورة إعادة النَّظر في اعتبار ٤٢٢هـ/١٠٣١م عام انتهاء الخلافة الأمويَّة وبداية عصر ملوك الطَّوائف في الأندلس، بل عام ٤٠٧هـ/١٠١٦م الذي قُتل فيه الخليفةُ سليمان المستعين بالله. ذلك العصر الذي أُلغيت فيه الخلافة الأمويَّة، فاضطرمت البلادُ بنار الفُرقة والاقتتال، وانقسمت إلى اثنتين وعشرين دويلة، تتوارث الحكمَ في كلٍّ منها أسرةٌ أو طائفةٌ تعتمد على القوَّة العسكريَّة في تنفيذ أهدافها، وتسعى للسَّيطرة على ما يليها من ممتلكات غيرها، ما جعل كلَّ طرفٍ يستقوي على غيره بهذه المملكة المسيحيَّة أو تلك، مقابل دفع الجزية والاعتراف بسلطة المسيحيّين وسيادتهم، ففقدت الأندلس في هذه الحقبة الآلاف من أبنائها، وساءت أحوالها الاقتصاديَّة، وخسرت عديداً من المدن والحصون لصالح أعدائها (السامرائي وطه ومصلوب ٢٠٠٠: ٢٤٩).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وقُبيل وفاته عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، قام سليمان بن هود بتقسيم مدن مملكته وأعمالها بين أبنائه الخمسة؛ فاستحوذ أحمد المقتدر بالله على سرقُسطة وأعمالها، واختصَّ يوسفُ بلاردَة، ومحمَّد بقلعة أيّوب، ولبُّ بوَشْقَة، والمنذرُ بتُطيلَة[٣١]، واستقلَّ كلٌّ منهم بعمله. وكان المقتدر أقوى إخوته سُلطاناً، فحجر عليهم، وسمل عيونَ بعضهم، وسيطر على ولاياتهم، ما عدا لاردَة؛ التي تمكَّن حاكمُها، المظفَّر حسام الدَّولة يوسف (٤٣٨-٤٧٣هـ/١٠٤٦-١٠٨٠م)، أكبر الأخوة سنّاً من حمايتها والاحتفاظ بها، وعندما رأى أهلُ المملكة بشاعة أفعال المقتدر ونكالِه بإخوته، خلعوا طاعته وبايعوا أخاه يوسف؛ ولم يتبقَّ للمقتدر سوى سرقُسطة وما حولها، إلا أن الأخير لم يقف مكتوف الأيدي إزاء ذلك، حيث استعان بملكَ نافار غارسيا سانشيز الثّالث (Garcia Sanchez III) (٤٢٦-٤٤٦هـ/١٠٣٥-١٠٥٤م) من أجل الإيقاع بأخيه، ما أدى إلى إضعافه وارتداده إلى مدينة لاردة. وفي رمضان عام ٤٤٥هـ/ديسمبر١٠٥٣م حاول المقتدرُ قتْله (للتَّفاصيل؛ يُنظَر: ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ٤٢٣/١-٤٢٤؛ ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٥٧/٢-٤٥٩).

وبالتَّزامُن مع صراعه الذي لم يتوقَّف ضدَّ أخيه[٣٢]، حرص المقتدرُ على توسيع رقعة مملكته؛ فانتزع مدينةَ طُرطوشة السّاحليَّة من يد الفتيان العامريّين عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م وضمَّها إلى مملكته، حتّى تكون منفذاً إضافيّاً له على البحر إلى جانب طرَّكونة[٣٣] (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٥٩/٢؛ ابن خلدون ٢٠٠٠: ٢١٠/٤؛ عنان ١٩٩٧: ٢٧٣/٢-٢٧٤). وفي شعبان من عام ٤٦٨هـ/مارس ١٠٧٦م سيطر على مدينة دانية (Denia)[٣٤]، الواقعة في النّاحية الشَّرقيَّة من الأندلس، حيث انتزعها

---

[٣١] **تُطيلة**: تتَّصل بأعمال وشقة، غزيرةُ المياه، كثيرةُ الأشجار، اختطَّها الأمير الحكم الربضيّ (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) شمال غرب سرقسطة، على الضِّفة اليسرى لنهر إيبرو، وبينها وبين سرقسطة ١٧ فرسخاً (الحموي ١٩٧٧: ٣٣/٢؛ أبو الخيل ٢٠٠٢: ٣٧).

[٣٢] كان المقتدرُ خلال صراعه مع أخيه يستعين بمرتزقةٍ من مملكتي نافار وقطلونية، إلى أن تمكَّن في إحدى المعارك عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م من إلحاق الهزيمة به وأسْره وإيداعِه قلعةَ مُنتشون الواقعة إلى الجنوب من بَربُشتَر، وأقرب المواضع المأهولة إليها، ثمَّ استولى المقتدر على لاردة عاصمته، وبقي المظفَّر حبيساً حتّى وفاته عام ٤٧٥هـ/١٠٨٢م (Esteban, Botaya and Garcia 2008: 93؛ عنان ١٩٩٧: ٢٨٠/٢).

[٣٣] **طرَّكونة** : مدينة ساحلية متَّصلة بأعمال طرطوشة، وتقع بين الأخيرة وبرشلونة (Barcelona)، ولها نُهيْر يسمّى باسمها (الحموي ١٩٧٧: ٣٢/٤).

[٣٤] **دانية**: مدينة ساحليَّة بشرقيّ الأندلس، لها قصبةٌ منيعةٌ، وعليها سورٌ حصينٌ، ولها ربضٌ عامرٌ، وميناءٌ، ودارٌ لصناعة السُّفن، اشتُهرت بأشجارها، وبخاصة التّين والعنب، وفي الجنوب منها جبلٌ عظيمٌ مستديرٌ، وتظهر من أعلاه جبالُ جزيرة يابسةٍ (Ibiza) في البحر (الحِميَري ١٩٨٤: ٢٣١-٢٣٢).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

من واليها أبي الحسن، إقبالِ الدَّولة عليِّ بن مجاهد بن يوسف العامريِّ (٤٣٨-٤٦٨هـ/١٠٤٦-١٠٧٦م)[٣٥] (العُذري د. ت: ١٦؛ ابن سعيد المغربي ١٩٥٥: ٤٠١/٢)، وذلك بعد أن هادن ملكَ نافار سانشو غارسيس الرّابع (Sancho Garces IV) (Sancho de la Penalen) (٤٣٦-٤٦٨هـ/١٠٤٥-١٠٧٦م) وتحالف معه، حتّى لا يقوم النّافاريّون باستغلال انشغاله بأمر دانية ومهاجمة أطراف مملكته (Molina and Carrasco 2017: 141). وبعد ذلك قام المقتدرُ بالسَّيطرة على جزيرة ميورقة (Mallorca)[٣٦]، التي كانت تحت حكم مبشِّر، ناصر الدَّولة، ابن إقبال الدَّولة (ت. ٥٠٨هـ/١١١٤م) (ابن خلدون ٢٠٠٠: ٢١١/٤). وبعد أن اكتملت أعمال التَّوسُّع، غدت مملكةُ سرقُسطة في عهد المقتدر من أعظم دويلات الطَّوائف قوَّةً ومساحةً (يُنظَر الخارطة: 45 :Cervera 1999).

ملامح السِّياسة الإسبانيَّة والبابويَّة تجاه مملكة سرقُسطة حتّى الحملة الصليبيَّة ضد بَربُشتَر عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م (قراءةٌ في الأسباب والدَّوافع والمقدِّمات):

تكوَّنت إسبانيا في مطلع القرن الخامس الهجريِّ/الحادي عشر الميلاديِّ من ممالك مسيحيَّةٍ أحاطت بمملكة سرقُسطة من مختلف الجهات (يُنظَر: الخارطة Anton 2010: 65)، وأهمُّها: قطلونية (Cataluna) من النّاحية الشَّماليَّة الشَّرقيَّة، وعاصمتها مدينة برشلونة، ومن الناحية الشَّماليَّة مملكة أراغون (Aragon)، التي تمتد من الحدود الشَّماليَّة للأراضي الإسلاميَّة حتّى جبال ألبرت، وأمّا مملكة نافار، فتقع جنوب خليج الباسك (Golfo de Vizcaya)، وتمتدُّ رقعتُها حتّى نهْر الجارون (Garonne) جنوب بلاد الفرنجة، وعاصمتها مدينة بمبلونة، وتحدُّ ولايةَ الثَّغر الأعلى من النَّواحي الشَّماليَّة والشَّماليَّة الغربيَّة، وأخيراً؛ مملكتي قشتالة (Castilla) وليون (Leon)، واشتملت على المنطقة الواقعة إلى الغرب من سرقُسطة، أي من مدينة برغش (Burgos)[٣٧]، حتّى ما بعد نهْر دويرة[٣٨] جنوباً، وتعدَّدت فيها القلاع

---

[٣٥] أقطعَ المقتدرُ إقبالَ الدولة في سرقسطة إقطاعاً ليعتاش منه، حتّى وفاته عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م (ابن الأبّار ١٩٨٥: ٢٤٨/٢؛ ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦٢/٢).

[٣٦] **ميورقة**: إحدى الجزائر الشَّرقيَّة (جزر الباليار)، وهي الجزيرة الكبرى، وطولها من الغرب إلى الشَّرق سبعون ميلاً، وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلاً، وإلى الشَّرق منها جزيرة مينورقة (Menorca)، وغربيّها جزيرة يابسة (الحِميَري ١٩٨٤: ٥٦٧).

[٣٧] **برغش**: تقع أقصى شمال الأندلس، وكانت تمثِّل قاعدةَ مملكة ليون، وهي مدينةٌ كبيرةٌ يخترقُها نهرٌ، ولها سورٌ منيعٌ، وكرومٌ كثيرة (الحِميَري ١٩٨٤: ٨٨).

[٣٨] **نهر دويرة**: يسمّيه العرب الوادي الجوفيّ، ويقع في الشَّمال الشَّرقي من جبال الكنتبريك (Cantabric) في الشَّرق، والسِّلسلة الوُسطى في الجنوب، ويصبُّ في المحيط الأطلسي بالقربِ من برتقال (Porto) (حتاملة ١٩٩٦: ٨٥).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الحدوديَّة (عبد الحليم د. ت: ٤٢، ٩١؛ مؤنس ١٩٩٢: ١٢؛ بروفنسال ٢٠٠٠: ١٦٣؛ عنان ١٩٩٧: ٢١٧/١).

وعلى الرَّغم من تعدُّد الممالك المذكورة؛ فإنَّ الهدف المشترك الرَّئيس الذي كان يجمعُها هو الاستمرار في استخدام مختلف الوسائل من أجل السَّيطرة على الأراضي الأندلسيَّة، مدفوعةً بدوافع دينيَّة كنسيَّة كاثوليكيَّة، على قاعدة أنَّ تحقيق هذا الهدف لم يعُد مسألة بقاءٍ وحسب، بل أصبح مطلباً أخلاقيّاً أيضاً "تقتضيه إرادة الرَّب" (Ayala 2013: 512). وعلى هذا الصَّعيد تميَّز النِّصفُ الثّاني من القرن الخامس الهجريّ/الحادي عشر الميلاديّ بسماتٍ خاصَّةٍ؛ إذ باتت الأعمال العسكريَّة الأراغونيَّة، على وجه الخصوص، تستندُ إلى روح المبادرة الهجوميَّة والتَّوغِّل في عمق الأراضي الإسلاميَّة، بدلاً من الدِّفاع ومحاولة استعادة المدن والحصون التي سيطر عليها المسلمون حديثاً. ونظراً لأهمية هذه السِّياسة وفاعليَّتها فقد وسمها البعضُ بالرّوح الجديدة (El Nuevo espiritu) (Lafuente 1998: 53).

ومن مميِّزات هذه الحقبة أنْ أصبحت الحدود الإسبانيّة الجنوبيّة تتكوَّن من سلسلة من الحاميات والحصون العسكريَّة المتحرّكة، تبْعاً للتَّقدُّم في تحقيق الإنجازات الميدانيَّة على حساب الأراضي الإسلاميَّة، في وقتٍ اعتمد فيه الأندلسيّون على مواقع محصَّنة ثابتة تهدفُ إلى الحفاظ على الحدود القائمة (Costa 2001: 139). ومن أجل تسهيل مهمَّة السَّيطرة على المواقع الإسلاميَّة، استحدث ملوكُ أراغون ونافار نظامَ الإقطاع العسكريّ، حيث قاموا بإقطاع بعضَ القرى المقابلة للمواقع الإسلاميَّة المهمَّة لقادة عسكريّين؛ من أجل بناء حصونٍ جديدةٍ على أراضيها، لأغراض الدِّفاع والهجوم، كقريتيّ أرتسونا (Artasona) وإيرب (Ayerbe) المقابلتين لمدينة وشقة الأندلسيَّة (Lafuente 1998: 54-55)، وذلك جنباً إلى جنب مع تكثيف هذه الممالك لجهودها في استنزاف مملكة سرقُسطة اقتصادياً، من خلال فرْض المبالغ الماليَّة الباهظة عليها مقابل الحماية أو فضّ الاشتباك (Lacarra 1972: 257).

وبالتَّزامن مع جهود ملوك الممالك الإسبانيَّة في محاربة الأندلسيّين بهدف السَّيطرة على مدنهم وحصونهم وأراضيهم، فقد كانت البابويَّةُ تسعى إلى فرض سيادتها الدّينيَّة وهيمنتها السِّياسيَّة على أقطار العالم المسيحيّ، مدفوعةً بتأثير مبادئ الدَّيريّة الكلونية[٣٩]. ففي عهد البابا نيقولاس الثّاني (Pope Nicholas II) (١٠٤٥-

---

[٣٩] **الدَّيريَّة الكلونيَّة**: ديريَّة رهبانيَّة، سُمِّيت بهذا الاسم نسبة لديْر كلوني (Cluny) في فرنسا، في المنطقة التي تحمل اسمَه. أُسِّس هذا الدَّير بأمرٍ من لويس التَّقي ابن شارلمان (Louis le Pieux) (ت. ٢٢٥هـ/٨٤٠م) عام ٢٩٧هـ/٩١٠م؛ لأهدافٍ دينيَّةٍ إصلاحيَّة، وبعد ذلك انتشرت أديرةٌ مشابهةٌ في بعض أقطار أوروبا، ونادت الكلونيَّة بضرورة خضوع جميع الأديرة في أوروبا لسلطة دير كلوني الفرنجي، ومن أهمِّ مبادئها الانضواءُ تحت راية

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٤٥٣هـ/١٠٥٩-١٠٦١م) قام الرّاهب الكلوني هيلدبراندو دي سوفانا (Ildebrando di Soana) (ت. ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، بجمع سلسلة من النُّصوص الدّينيَّة والقانونيَّة التي تؤكِّد على هذا الحقّ (Arteta 1981: 54)، وكانت بلاد الأندلس في مقدِّمة الأقطار التي استهدفها هذا التَّوجُّه البابوي. ولاقى ذلك تجاوُباً من ملك أراغون راميرو الأوَّل (Ramiro I) (٤٢٦-٤٥٥هـ/١٠٣٥-١٠٦٣م)، حليف البابويَّة القويّ، الذي عُدَّ أوَّل من اعترف من الملوك المسيحيّين بسلطة البابا الكاثوليكيَّة؛ ففي عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م عقد اجتماعاً برئاسة ابنه سانشو راميريث (Sancho Ramírez) (ت. ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)؛ من أجل تعزيز العلاقات مع البابويَّة، وتقرَّر فيه أن يُرسل إلى روما عُشر إيرادات مملكة أراغون، وعُشر الجزية التي تحصل عليها من مسلمي سرقُسطة وتُطيلة، ما جعل مملكة أراغون تابعةً إقطاعيّاً ودينيّاً للبابويَّة (النَّشّار ٢٠٠٣: ١٧-١٨).

وتطوَّر هذا التَّوجُّه تدريجيّاً في عهد البابا ألكسندر الثّاني (Pope Alexander II) (٤٥٣-٤٦٥هـ/١٠٦١-١٠٧٣) (Arteta 1981: 54). بتأثيرٍ من الدَّيريَّة الكلونيَّة. ومن أجل تحقيق ذلك بثَّ الرُّهبانَ الكلونيّين في مختلف أنحاء شبه الجزيرة الإيبيريَّة، الذين حثّوا ملوك إسبانيا على اعتماد الصلوات الكاثوليكيَّة بدلاً من القوطيَّة (النَّشّار ٢٠٠٣: ١٥-١٦). وفي عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م منح البابا امتيازات بابويَّة لعديدٍ من الكنائس القطلونيَّة، منها كنيسة القدّيسة ماريا (Santa Maria) في بلدة ريبول (Ripoll)، وكنيسة القدّيس بيدرو (San Pedro) في بلدة آجير (Ager)، وذلك بطلبٍ من كونت أورقلة (Urgel) إرمنجول الثّالث (Ermengol III) (٤٢٩-٤٥٧هـ/١٠٣٨-١٠٦٥م) (Arteta 1981: 55). ثمَّ أوفد البابا ألكسندر الثّاني الكاردينالَ هوغو كانديدو (Hugo Candido) إلى أراغون؛ بهدف تعزيز علاقات البابويَّة مع الكنائس المسيحيَّة في شبه الجزيرة الإيبيريَّة (Costa 2001: 143).

ولعلَّ من أهمِّ الدَّوافع الأخرى التي توخّى البابا ألكسندر الثّاني تحقيقَها من فرض سيطرته الرّوحيَّة على شبه الجزيرة الإيبيريَّة؛ دمجَها في تراث القدّيس بطرس، ودفع الإسبان إلى الانخراط في التَّوجُّهات البابويَّة الهادفة لإنقاذ مسيحيّي الشَّرق، وضمان تدفُّق الحُجّاج الأوروبيّين إلى مدينة القدس. وفي السِّياق ذاته، اعتقد البابا ألكسندر الثّاني والكنيسة الكاثوليكيَّة في روما أنَّ شبه الجزيرة تمثِّل حقلاً خصباً لممارسة الحروب الصَّليبيَّة، وعدَّ قتال "المسلمين المجرمين الأشرار، الذين سيطروا على الأراضي المسيحيَّة" واجباً قانونيّاً تقتضيه "شريعة الرب"، وضرباً من ضروب الحرب العادلة والمقدَّسة (Ayala 2013: 499-500, 512)، فكتب في عام

البابويَّة، ومحاربة "السّيمونيَّة" (Simony)، أي الرَّشوة وشراء المناصب الدّينيَّة بالمال. يُنظَر: (عمران د. ت: ٢٩١، ٢٩٣).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٤٥٥هـ/١٠٦٣م إلى رجال الدّين في مختلف المدن الإيطالية، يخبرهم أنَّه منَح مغفرةَ الخطايا لأولئك الذين سوف يذهبون لمحاربة مسلمي الأندلس. حتّى أنَّه وتكريساً لهذا القرار، أمر بسكِّ عملاتٍ معدنية جديدة، مع تمثالٍ نصفيّ متوَّج الرأس. وفي العام ذاته أمر البابا مدفوعاً بتأثير الكلونيّين بالتَّبشير في إيطاليا وفرنسا وبقيَّة أقطار الغرب المسيحيّ من أجل تشكيل حلفٍ أوروبيّ صليبيّ، لإعدادِ العدَّة بهدف إنجاد مسيحيّي الأندلس وشنّ حملةٍ صليبيَّة ضد المسلمين (Arteta 1981: 56; Castro 1946: 669).

ولعب عديدٌ من القادةِ المسيحيّين الإسبان دوراً كبيراً في تحريض البابويَّة على تشكيل هذا الحلف، وفي مقدِّمتهم القائد العسكريُّ آرنو مير دي توست (Arnau Mir de Tost) نبيل بلدة آجير القطلونيَّة، الذي نشط في تلك الأوقات في كاسيراس (Caserras) وبيلزان (Pilzan) المقابلتين لمنطقة بربطانية الثَّغرية الأندلسيَّة (Arteta 1981: 55). وممَّن أبدوا حماساً كبيراً لهذا الأمر أيضاً ملك نافار وأراغون سانشو راميريث (٤٥٥-٤٨٧هـ/١٠٦٣-١٠٩٤م) مستغلاً هذه الأجواءَ المفعمة بالرّوح الصَّليبيَّة التي أشاعتها البابويَّة ضد الأندلسيّين. فعدَّ المؤرّخون الفترةَ الواقعةَ من ٤٥٥هـ/١٠٦٣م إلى ٤٦٠هـ/١٠٦٨م الحقبةَ الحقيقيَّةَ التي بدأت فيها حركة إعادة الاسترداد (Reconquista) الإسبانيَّة البابويَّة بصورتها الفعّالة (Lafuente 1998: 53).

ويعتقدُ بعضُ المؤرّخين أنَّ من أهم الدَّوافع المباشرة لتشكيل الحلف البابويّ الصَّليبيّ هو الانتقام لمملكة أراغون وملكها سانشو راميريث (Sancho Ramírez) (٤٥٥-٤٨٧هـ/١٠٦٣-١٠٩٤م) بعد مقتل والده الملك راميرو الأوَّل (Ramiro I) (٤٢٦-٤٥٥هـ/١٠٣٥-١٠٦٣م) وهزيمة جيشه عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م على يد المقتدر والقوات القشتاليَّة عند أسوار قلعةَ غراوس (Grous) الإسلاميَّة، الواقعة في النّاحية الشَّماليَّة الشَّرقيَّة لمدينة بربشتر (Cervera 1999: 46)، حيث عدَّتها البابويَّة هزيمة للمسيحيَّة جمعاء (Castro 1946: 966; Cervera 1999: 46)، إلا أنَّ Arteta (1981: 55) يقلِّل من أهميَّة هذا الرأي، بقوله إنَّ السَّبب الحقيقي يعود إلى الرَّغبة البابويَّة الجامحة في جعل شبه الجزيرة الإيبيريَّة ساحةً لممارسة الحروب الصَّليبيَّة ضدَّ الأندلسيّين، وتشجيع الإسبان على مواصلتها.

وفي ظل هذه الأجواء المفعمة بالرّوح الصَّليبيَّة بدأت تتشكَّل ملامح وجُهَة الحملة المُزمع تجريدها إلى بلاد الأندلس، والتي ستكون ضحيتُها مدينة بَربُشتَر في ولاية الثَّغر الأعلى في العام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م (النَّشّار ٢٠٠٣: ١٨). ويُعتقد بأنَّ كونت أورقلة إرمنجول الثّالث الذي كان من أكثر الدّاعمين للتَّوجُهات البابويَّة الصَّليبيَّة ضدَّ الأندلس، هو الذي أشار إلى بَربُشتَر لتشكِّل وجهة الحملة الصَّليبيَّة الأولى، ولهذا، ونظراً لجهوده العظيمة في السَّيطرة عليها فسوف يلقَّب بالبَربُشتَري (el de

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

Barbastro). ويبدو أنَّه اختارها لأنها كانت الموقع الأقوى في بربطانية، وتواجه سلسلةً من المدن الأراغونية وبخاصَّةٍ كاسيراس وبيلزان (Arteta 1981: 55-56). ومن الأسباب المهمَّة الأخرى، تصدُّر مدينة بَربُشتَر لأمّهات مدن الثَّغر الأعلى الأكثر أهميَّة وقوَّة ومنعة، وبخاصةٍ خلال فترة حكم بني هود، حيث كانت تمثِّل المعقل الرَّئيس ضمن ثغور الحدود الشَّماليَّة (Cervera 1999: 46)، بسبب تمتُّع موقعها بأهميَّة استراتيجيَّة كبيرة، لارتفاع رُقعتها، وإشرافها من النّاحية الجنوبيَّة على سهول إيبرو الخصبة، ومن النّاحية الشَّماليَّة على منطقتي نافار وأراغون الجبليَّتين (Castro 1946: 669; Perez 1985: 1178)، فضلاً عن وقوعها بين وشقة في الشَّمال الغربيّ ولاردة في الجنوب الشَّرقي، وتطابق موقعها مع المثلَّث الذي تقعُ في زاويته الجنوبيَّة مدينة سرقُسطة، ما جعل الإسبان يحرصون على السَّيطرة عليها بهدف جعلها قاعدةَ انطلاقٍ للسَّيطرة على يليها من المدن الأخرى (النَّشّار ٢٠٠٣: ٢٢). وممّا زاد من أهمِّيتها؛ صلابة أهلها وما تمتَّعوا به من "جلادةٍ وممانعةٍ للعدو" (الحموي ١٩٧٧: ٣٧١/١).

وفضلاً عمّا ذُكِر؛ لعبت الظُّروف الاقتصاديَّة الصَّعبة التي كان يعاني منها سكّان قرى ملكتي أراغون ونافار في القرى الواقعة شمال كورة بربطانية ووشقة دوراً في تحفيز الإسبان على مهاجمة بَربُشتر والسَّيطرة عليها؛ ذلك أنَّ الهجمات الإسلاميَّة المتكرِّرة، وما ألحقته بالقرى الإسبانيَّة من خسائر ماديَّة، فضلاً عن أراضيها الجبليَّة غير الصّالحة للزِّراعة، دفعت القرويّين الإسبان نحو الوديان الجنوبيَّة، الأكثر ملاءَمة للزِّراعة، فأصبحوا على بعد بضعة كيلومترات من بَربُشتَر، ما جعلهم يعيشون حياةً غير آمنة (Esparza 2009: 161). ولعلَّ ذلك ما أخذهُ ملك أراغون ونافار سانشو راميريث بالاعتبار ضمْن دوافعه للسَّيطرة على المدن والحصون الإسلاميَّة الجنوبيَّة الواقعة على ضفاف نهْر إيبرو، حيث كان يحدوه الأمل في تأمين سلامة القرويّين المسيحيّين، والاستحواذ على الأراضي الإسلاميَّة الخصبة الصّالحة للزِّراعة.

كما شكَّل التَّنافُس بين الملك الأراغوني سانشو راميريث والقشتاليّين دافعاً مهماً للسَّيطرة على المواقع المذكورة، فضلاً عن مزاحمة كونت أورقلة إرمينجول الثّالث مملكتيّ أراغون ونافار، من خلال مهاجمة أراضي بَربُشتَر ولاردة ومنتشون ومحاولاته السَّيطرة عليها. ولهذا كله رأى سانشو أن يقوم بفتح الطَّريق إلى نهْر إيبرو، قبل أن يغلقَ منافسوه الطُّرقَ كلَّها أمامه، فوقع نظرُه على بَربُشتَر. وعندما أدرك مدى حصانتها وإمكانية تلقّيها النَّجدات والمساعدات من المواقع الإسلاميَّة المجاورة، وأنَّ قوات أراغون لا تستطيع وحدها القيام بهذه المهمَّة نظراً لقلَّة عددها، فقد لجأ إلى الاعتماد على البابويَّة في تحقيق أهدافه (Castro 1946: 668).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الحملة الصَّليبيَّة على بَربُشتَر عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م

عدت الحملة ضد مدينة بَربُشتَر صليبيةً بامتياز، ومن أهمِّ أسباب هذا الاعتقاد أنَّ من دعا إليها هو البابا ألكسندر الثَّاني بنفسه (عنان ١٩٩٧: ٢/٢٧٤)، ووعد بمنح كل من سيشارك فيها صكوكَ الغفران (Costa 2001: 141)، وأشاع بأنَّ الحرب ضدَّ مدينة بَربُشتَر هي تعبير عن عدالة الله وتجسيداً لإرادته (Ayala 2013: 512). كما أنها كانت أوَّلَ حملةٍ صليبيَّة يتمُّ التَّبشير لها في أوروبا بهدف السَّيطرة على أراضي المسلمين، قبل ما يقرُب من ثلاثين عاماً من خطاب أوربان الثَّاني في كليرمونت بفرنسا في ٢١ ذو القعدة ٤٨٨هـ/٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م (Arteta 1981: 54; Cervera 1999: 46). فاعتُبرت الحملة ضد بَربُشتَر نموذجاً مصغَّراً عن الحروب الصَّليبيَّة ضدَّ بلاد الشَّرق الإسلامي (٤٩٢-٩٦٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، ومقدِّمة لها (Garcia 2000: 357).

جنسيّات قوّات الحملة وقيادتها وقُوامها: اتَّفقت المصادر الإسلاميَّة أنَّ العنصر العرقيّ الرَّئيس الذي تشكَّلت منه هذه الحملة هو شعب "الغاليش والروذمانون" (البكري ١٩٩٢: ٢/٩١٠؛ الحِميَري ١٩٨٤: ٩٠)، وهم أنفُسهم "الأردمانيّين" (ابن بسّام، ١٩٩٧: ق٣، مج١، ص١٨١) و"الأردامانيّين" و"الرّوم" (ابن عذاري ٢٠١٣: ٢/٤٥٩) و"الأردمليس" (المقَّري ١٩٨٨: ٤/٤٤٩)، وعلى الرَّغم من اختلاف المسمَّيات؛ فإنَّها كلّها تشير إلى شعب بلاد غالة الفرنجيّ، وتحديداً النورمانديّين. وكان خطرُ هذه العناصر التي تعود لأصولٍ إسكندنافيَّة قد وصل إلى بلاد الأندلس في القرن الثّالث الهجريّ/التّاسع الميلاديّ، حيث قامت مجموعاتٌ منهم بمداهمة سواحلها بحثاً عن الذَّهب، واستهدفت في غاراتها الأراضي المسيحيَّة والإسلاميَّة على حدٍ سواء (ابن القوطيَّة ١٩٨٩: ٧٨-٨١، ٨٣؛ Aristizábal 2007: 45). وفي عام ٣٠٠هـ/٩١٣م قام الملكُ الفرنجيُّ شارل الثَّالث (٢٨٥-٣١١هـ/٨٩٨-٩٢٣م) بإقطاعهم بقعةً جغرافيَّةً غربيّ بلاده، فاتَّخذوا منها قاعدةً ثابتةً لهم للإغارة على الثَّغر الأعلى الأندلسيّ براً وبحراً (العبّادي د. ت: ص٢٧٥). وفي أوائل القرن الخامس الهجريّ/الحادي عشر الميلاديّ وصل النّورمنديُّ روجر الأوَّل (Roger I de Tosny) (ت. ٤٣١هـ/١٠٤٠م) إلى برشلونة للقتال إلى جانب المسيحيّين مدفوعاً بروحٍ صليبيَّة (Aristizabal 2007: 45).

وفي المصادر الإسلاميَّة حمل القائدُ الذي وقف على رأس الحملة عديداً من المسمَّيات: "البيطين" (البكري ١٩٩٢: ٢/٩١٠؛ ابن الكردبوس ٢٠٠٨: ٢/١٢٢٤)، و"قائد خيل رومة" (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، مج١، ص/١٨٢)، و"البيطبين" (ابن عذاري ٢٠١٣: ٢/٤٦٠) و"ألبيطش" (الحِميَري ١٩٨٨: ٤٠). وعلى ما يبدو فإنَّ المقصود به هو جيوم دي مونتريال (Guillaume de Montereuil) (ت. ٤٦٠هـ/١٠٦٨م) قائد الفرقة الإيطاليَّة وحامل الرّاية البابويَّة (النَّشّار ٢٠٠٣:

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ص١٨؛ عنان ١٩٩٧: ٢٧٤/٢)، الملقَّب بـالنّورمانيّ الطَّيّب (buen normando) (النَّشّار ٢٠٠٣: ص٢٠). وكان جيوم قد وصل إلى إيطاليا في أواسط القرن الخامس الهجريّ/الحادي عشر الميلاديّ، وخدم الكرسيَّ الرَّسوليَّ، ثمَّ أصبح قائدَ الجيوش الرّومانيَّة والبابويَّة، وعُدَّ من كبار فُرسان عصره (عنان ١٩٩٧: ٢٧٤/٢).

توجَّهت الفرقةُ الإيطاليَّةُ بقيادة جيوم إلى مقاطعة نورمنديا الفرنجيَّة، وانضمَّ إليها هناك البارون روبرت كرسبين (Robert Crespin) (ت. ٤٦٤هـ/١٠٧٢م) على رأس كتيبة الفرسان الفرنسيّين النّورمنديّين التي ضمَّت نخبةً من القادة مع قوّاتهم، وفي مقدِّمتهم الكونت جي جيوفروي (Gui Geoffroi) (٤٤٤-٤٧٩هـ/١٠٥٢-١٠٨٦م) كونت غسقونية (Gascony) وأقيطانية (Aquitaine) وبواتيه (Poitiers) (النَّشّار ٢٠٠٣: ١٩-٢٠). كما انضمَّ إليها فرسانٌ من مقاطعتيّ بروفانس (Provenza) ولانغدوك (Languedoc) الفرنجيَّتين، وما أن اكتملت الاستعدادات حتّى سارت القوّات إلى بلاد الأندلس، وبعد اجتياز جبال ألبرت، انضم إليها بيرينجر (Berenguer) أسقف فيتش (obispo de Vich)، وكونت أورقلة إرمينجول الثّالث (Castro 1946: 669, Costa 2001: 141)، وكذلك جموعٌ من محاربي مدن الشَّمال الإسبانيّ، وبخاصَّةٍ مدينة جيرونة (Gerona) في إقليم قطلونية (النَّشّار ٢٠٠٣: ٢٠). وعلى الرَّغم من هزيمة القوّات الأراغونيَّة في معركة غراوس، فإنَّ أفرادها سرعان ما انطلقوا من قواعدهم القريبة من منطقة بربطانية، والتحقوا بقوات الحملة (Costa 2001: 143).

وبلغ قوامُ الحملة وفقد ما أورده كلٌّ من البكريّ والحِميَري أربعون ألف فارس (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢؛ الحِميَري ١٩٨٤: ٩٠؛ يُنظَر أيضاً: Costa 2001: 142). وهذا بالطَّبع يشمل قوّات أراغون (النَّشّار ٢٠٠٣: ص٢٠). وأما ابن عذاري (٢٠١٣: ٤٥٩/٢) فقال: عشرة آلاف. وهذا ما ذكره عنان (١٩٩٧: ٢٧٤/٢) وفق رواية ابن حيّان. واكتفى صاحب الحلل الموشيَّة (١٩٧٩: ٧٦) بالقول: "خرج الإفرنج من الأرض الكبيرة (بلاد الفرنجة) إلى الأندلس في جموعٍ كثيرةٍ ليس لها حدٌّ، ولا يحصى لها عدٌّ". ويتَّضح أنَّ ثمَّة بوناً كبيراً بين العددين، ومن الصعوبة بمكان ترجيحُ أحدهما على الآخر، مع أنَّ الباحثَ يميلُ إلى رواية ابن عذاري، التي قد تكون الأكثر دقَّة، ومن الأدلَّة على ذلك ما ذكره ابن بسّام (١٩٩٧: ق٣، ١٨٢/١) بأنَّ عدد الذين تولّوا مهمَّة حصار المدينة كان خمسة آلاف، ما يعني، منطقيّاً، أن النِّصف الآخر قد وُضع على أهبَّة الاستعداد للالتحام المباشر مع حامية المدينة والاقتحام. ومن ناحية أخرى؛ بما أنَّ الطَّرفَ الإسبانيَّ الرَّئيس في هذه الحملة هو مملكة أراغون؛ يعتقد الباحثُ أنَّ هذه القوّات قد وُضعت تحت القيادة العليا للملك سانشو راميريث بعد أن دخلت أراضيه، بينما تولّى جيوم القيادة الميدانيَّة.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

انطلاق قوات الحملة والسَّيطرة على مدينة بَربُشتَر، ونتائجها: ينفرد Castro (1946: 669) بالقول أنَّ معظم قوّات الحملة بعد أن عبرت جبال ألبرت إلى ولاية الثَّغر الأعلى الأندلسيّ، شقَّت طريقَها عبر سومبورت (Somport)؛ المسمّى "درب الحجّ اليعقوبيّ العظيم" (ruta de las peregrinaciones jacobeas). ويضيف صاحب الحلل الموشيَّة (١٩٧٩: ٧٦) أنَّها قد انتشرت على ثغور ولاية سرقُسطة، وأثخنت فيها قتلاً للسُّكّان وسبياً. ولربَّما توخّى الصَّليبيّون من وراء ذلك قطْع الطَّريق على أيَّة قوَّة إسلاميَّة قد تحضر لوقْف زحفهم نحو بَربُشتَر، ولا يُستبعد هدفُ النَّهب والحصول على الغنائم أيضاً. وبشكلٍ عامّ، يتَّضح من قول عنان (١٩٩٧: ٢/٢٧٤) بأنَّ النّورمان ومعهم جموعٌ كبيرةٌ من الفرسان الفرنجة ما خرجوا إلا طلباً للمغامرة والنِّكاية والسَّلب والسَّبي والعيث في أراضي المسلمين، متستِّرين بالصِّفة الصَّليبيَّة التي أرادها البابا. وينفرد ابنُ عذاري (٢٠١٣: ٢/٤٥٩) بالقول أنَّ قوّات الحملة عرَّجت على مدينة وشقة، إحدى قواعد مملكة سرقُسطة الرَّئيسة، فنازلتها أياماً ثمَّ رحلت عنها متَّجهةً نحو الشَّرق. ويبدو أن حصانة مدينة وشقة وبسالة المدافعين عنها قد أجبرت القوّات الصَّليبيَّة على فكِّ الحصار عنها وتركها وشأنها. ثمَّ وصلت القوّات الصَّليبيَّة إلى مدينة بَربُشتَر في أوائل عام ٤٥٦هـ/ربيع ١٠٦٤م (عنان ١٩٩٧: ٢/٢٧٥)، وقيل في مايو من العام المذكور (Castro 1946: 669)، "على غرَّة وقلَّة عددٍ من أهلها" (البكري ١٩٩٢: ٢/٩١٠؛ الحِميَري ١٩٨٤: ٩٠). وبدأ نحوُ خمسة آلاف دارعٍ بمحاصرتها (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١/١٨٢).

ولم يبادر المقتدرُ بن هود إلى نجدة المدينة؛ لأنَّها كانت من أعمال أخيه يوسف المظفَّر، وبسبب حقده على أهلها لميلهم إلى أخيه (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١/١٨١، ١٨٩). وأمّا بخصوص الأخير، فيعتقدُ صاحبُ الحلل السُّندسيَّة (١٩٣٦: ٢/١٩٣) أنَّ تخاذُلَه عن نُصرة مدينته يعودُ إلى خوفه من غدرِ أخيه المقتدر، الذي قد يستغلُّ الموقف، فيسارعُ إلى السَّيطرة على ما تبقّى من أملاكه، بالتَّعاون مع أي جهة إسبانيَّة. ويناقش النَّشّار (٢٠٠٣: ص٢٨) هذا الأمر بقوله إن تبعيَّة المدينة للمظفَّر لا تُعفي المقتدر من مسؤوليَّة الدِّفاع عنها، لأنَّها تتبع مملكة بني هود، بغضِّ النَّظر عن الأسماء والعناوين. ومن ناحيةٍ أخرى، فمن الضَّرورة بمكان الأخذ بعين الاعتبار وضعَ المقتدر وقتذاك، وحجم التَّحديات والأخطار التي كانت تُحدق بمملكته المُحاطَة بالممالك الإسبانيَّة أرغون ونافار وقشتالة، فخشي إذا ما قام بالتَّوجُّه إلى بَربُشتَر أثناء حصارها أنْ ينتهزَ الإسبانُ ذلك ويقومون بهاجمة سرقُسطة عاصمته، وربَّما أدرك المقتدرُ أنَّ من الصَّعب عليه وحده التَّصدي لهذا العدد الكبير من القوّات الصَّليبيَّة.

ومهما يكُنْ، فقد دام حصار الصَّليبيّين لبَربُشتَر مدة أربعين يوماً (البكري ١٩٩٢: ٢/٩١٠؛ ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١/١٨٢؛ المقَّري ١٩٨٨: ٤/٤٤٩)، وقاموا منذ اليوم الأوَّل بقصف أسوارها بقذائف المنجنيق؛ لإحداث فجوات فيها (النَّشّار ٢٠٠٣:

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ص٢٢)، وذكر ابن بسّام (١٩٩٧: ق٣، ١٨٢/١) بأنهم بذلوا عديداً من المحاولات لاقتحامها، إلا أنَّهم لم يتمكَّنوا من ذلك بسبب دفاع أهلها المستميت من مواقعهم خلف الأسوار، وأضافَ بأنَّ حاميتَها كانت تخرج من حينٍ لآخر، وتخوض مع الغُزاة معاركَ شديدة، ثمَّ ترتدُّ إلى الدّاخل، ما أدّى إلى مقتل خمسمائة من الصَّليبيّين.

وبسبب طولِ أمد الحصار، عانى أهالي المدينة من المجاعة، ووقع بينهم تنازعٌ على القوت لقلّته، كما عانوا من العطش الشَّديد بسبب انهيار النَّفق الذي كان يزوّد المدينة بماء الشُّرب من النَّهْر، ووقوع صخرةٍ عظيمةٍ من حجارة تحصيناتها فيه (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٢/١؛ المقَّري ١٩٨٨: ٤٤٩/٤). وانفرد ابن عذاري (٢٠١٣: ٤٥٩/٢) بروايةٍ أخرى: "وكان الماء يأتيها في سربٍ تحت الأرض من النَّهر حتّى يدخل إليها فيخترقها، فخرج رجلٌ من القصبة إلى الرّوم ودلَّهم عليه، فساروا إليه وهدموه وحالوا بينه وبين الاتِّصال بفم السِّرب". وكان من نتائج ذلك أنْ هلك عددٌ كبيرٌ من النّاس، وبخاصَّةٍ من النساء. وكانت المرأةُ تطلع من فوق سور المدينة، وتقايضُ مع الغزاة شربةَ الماء لنفسها أو لطفلها بما لديها من متاع وأموال. وعندما علم جيوم قائدُ الحملة بذلك نهاهم، وقال: "اصبروا وقتاً ويؤخَذون جملةً"، "وهلك من نساء بَربُشتَر جملةٌ يكثر عدُّها عند إفلاتهن من عطش القصبة لتطارُحهنَّ على الماء". وبسبب الظُّروف آنفة الذِّكر اضطرَّ أهالي المدينة إلى الاستسلام، مقابل تأمينهم على أنفسهم والخروج منها بدون أموالهم، فوافق جيوم قائدُ الحملة على ذلك. وما أنْ بدأوا بالخروج حتّى نكث الصَّليبيّون بوعْدهم، فأعملوا فيهم قتلاً، ولم يُطلقوا منهم غير قائدهم ابن الطَّويل وقاضيهم ابن عيسى وبعض الأعيان (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٢/١-١٨٣)، وذلك في الأيّام الأوَلى من شهر شعبان ٤٥٦هـ/أغسطس العام ١٠٦٤م (Costa 2001: 142).

وبعد دخول الغزاة المدينةَ طلب الأهالي الأمان من قائد الحملة، فأمَّنهم على أنفسهم، ثمَّ عاد وأدرك كثرة عددهم فخشي أن يتجمعوا مرَّة أخرى فيهبّوا لاستنقاذ أنفسهم، ولذلك أعمل السَّيف فيهم، وقتل منهم ما يزيد على ستَّة آلاف. ثمَّ نادى برفع السَّيف عنهم، وأمرهم مرة أخرى بالخروج من المدينة بالأهل والذُّريَّة، فخرجوا مزدحمين على أبوابها، ما أدّى إلى موت جماعة من الشُّيوخ والعجائز والأطفال، وصار كثيرٌ منهم يتدلّون بالحِبال من أعلى السور فراراً من ضغط الازدحام على الأبواب، وبهدف الإسراع في الحصول على الماء، وتحصَّن في القصبة سبعمائة من الرِّجال. ثمَّ نودي فيمن خرج من النّاس بأن يرجع كلٌّ منهم إلى داره، فرجعوا، ونالهم من الازدحام قريباً ممّا نالهم في الخروج منها، ولمّا استقروا فيها مع عيالهم، استباح الصَّليبيّون المدينةَ ثلاثة أيام، اقتسموا خلالها الدّور وما فيها من الأهالي فيما بينهم، ومارسوا بحقِّهم أبشع صنوف التَّعذيب والإذلال، فزهقت أرواح عديدٍ منهم، وكبَّلوا الرِّجال بالأصفاد، واغتصبوا النِّساء أمام أزواجهن، وافتضوا الأبكار أمام ذويهن (ابن

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٣/١-١٨٤؛ ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦٠/٢)، وحوّلوا النِّساء إلى إماء (Costa 2001: 142). وأما الرِّجال الذين كانوا قد اعتصموا بالقصبة، فسُمح لهم بالخروج بسلام، فقصدوا منتشون، أقرب المواقع الإسلاميَّة من بَربُشتَر، وصادف أنْ لقوا سريَّة من خيل الصَّليبيّين، لم يشهدوا غزو بَربُشتَر ولا علموا خبرَ هؤلاء المسرَّحين، فقتلوا معظمهم (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٥/١).

ويتَّضح ممّا ذُكر أنَّ من أهمِّ ما تمخَّضت عنه هذه الحملة على بَربُشتَر، مقتل عامَّة رجالها وسبْي نسائها، حتّى قيل أنَّه "لم يكن للنَّصارى قبل هذه الفعلة مثلُها في بلاد المسلمين" (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦٠/٢). ولم تخلُ المصادر الإسلاميَّة من المبالغة فيما يتعلَّق بعدد القتلى والأسرى؛ فقيل أنَّ عددَهم بلغ مائة ألف (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٢/١)، وفي رواية أخرى أنَّ المئة ألف هم مجموع الأسرى من النِّساء والذرية، فضلاً عن القتلى (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦٠/٢؛ ابن الخطيب ١٩٥٦: ١٧١). وأفاد صاحب الحلل الموشيَّة (١٩٧٩: ٧٦) بأنَّ الصَّليبيّين قتلوا من أهل بَربُشتَر نحو أربعين الفاً ما بين فارسٍ وراجلٍ، وسبوا النِّساء والأوَّلاد. وقيل قُتل وأُسر في بَربُشتَر خمسون ألف مسلم (Castro 1946: 670). ومن الأدلَّة على ما انطوت عليه الرِّواية الإسلاميَّة من مبالغةٍ في أعداد القتلى والأسرى قولُ كلٍّ من البكري والحِميَري بأنَّ الصَّليبيّين اجتاحوا المدينة "على حين غرَّةٍ وعددٍ قليلٍ من سكّانها" (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢؛ الحِميَري ١٩٨٤: ٩٠). وعلى الرَّغم من ذلك؛ فإنَّ هذه الأرقام تدلُّ على فداحةِ الخطْب الذي نزل بأهل بَربُشتَر، وعلى الوحشيَّة التي اتَّصف بها النّورمنديّون والأراغونيّون والفرنجة، وعلى مبلغ تجرُّد هؤلاء من أبسط الصِّفات الإنسانيَّة (عنان ١٩٩٧: ٢٧٧/٢؛ السامرائي وطه ومصلوب ٢٠٠٠: ٢٤٣).

ومن ناحية أخرى؛ حصل الصَّليبيّون من غنائم المدينة ما لا يمكن تقدير قيمتها لكَثرتها، وكانت من نصيب "أكبر رؤسائهم، قائد خيل رومة" (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٢/١)، والمقصود به جيوم دي مونتريال، حيث "حصل في سهمه أخزاه الله من أوقار الأطعمة والحُليِّ والكُسوة خمس مئة حمل" (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦٠/٢؛ ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٢/١). وحصل إرمنجول الثّالث على ثُلث المدينة؛ وقسَّم القادةُ المسيحيّون الآخرون الثُّلثين الآخرين بينهم (Castro 1946: 670). وعندما عزم قائدُ الحملة على العودة إلى بلاده تخيَّر من أبكار جواري المسلمين وأهل الحُسن منهنّ خمسةَ آلاف جارية (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢)، وقيل ألف وخمسمائة (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٢/١)، وفي رواية ثالثة سبعة آلاف (الحموي ١٩٧٧: ٣٧٠/١)، وأخيراً: أربعة آلاف، اختارهنَّ من الثَّمانية أعوام إلى العشرة (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦٠/٢؛ أرسلان ١٩٣٦: ١٨٦/٢)، وقيل خمسمائة (Castro 1946: 670)، بهدف إهدائهنَّ إلى صاحب القسطنطينيَّة (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢؛ الحموي ١٩٧٧:

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٣٧٠/١؛ الحِميَري ١٩٨٨: ٤٠). ومن الصَّعب الأخذ بهذه الرّواية لأنَّ فرقة روما كانت من النورمنديّين المعادين لبيزنطة (النَّشّار ٢٠٠٣: ص٢٥؛ وللتَّفاصيل، يُنظَر: عمران د. ت: ٢٧٢-٢٧٤). وقيل لإهدائهن لملِكِه ورؤسائه (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٥/١؛ ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦٠/٢)"، كما حمل معه من صبيان المسلمين "الأيفاع الحسان" ألوفا عدَّةً (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٥/١).

وقبل مغادرتهم المدينة، ترك الصَّليبيّون فيها حامية عسكريَّة من "جلَّة رجالهم وأهل البأس منهم من وثقوا بضبطه لها ومنعه إياها، واستوطنوها بالأهل والولد، وجعلوها ثغراً من ثغورهم" (الحِميَري ١٩٨٤: ٩٠). وبلغ عددُ أفرادها ألفاً وخمسمائة فارس، ومن الراجلة ألفين (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٨٦/١)، وقيل ألف فارس وأربعة آلاف راجل (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦٠/٢). وتولّى قيادتها أرمنجول الثّالث كونت أورقلة، بتفويضٍ من ملك أراغون سانشو راميريث، فلقِّب أرمنجول بالبَربُشتَري (el de Barbastro) (Castro 1946: 671).

وأحدثت نتائجُ هذه الحملة صدىً عظيم الأثر في بلاد الفرنجة؛ ولأنَّ بَربُشتَر لم تكن من المدن المشهورة بثرواتها، فإنَّ ما غنموه منها أثار دهشتهم، وبخاصَّةٍ بعد وصول كميّات من الغنائم والمقتنيات، فضلاً عن أعدادٍ كبيرةٍ من العبيد القادمة من بَربُشتَر إلى مختلف المدن الأوروبيَّة، حيث تمَّ بيعهم في أسواق العبيد، فأيقن الأوروبيّون حينها عظمة ثراء هذه المدينة (Castro 1946: 670). وحينها سال لُعاب المغامرين الفرنجة من أجل التَّوجُّه إلى بلاد الأندلس؛ بهدف السَّلب الاستحواذ على ثرواتها. ومن ناحية أخرى، وافق الكاردينالُ البابويُّ على الاعتراف بشرعيَّة امتلاك بَربُشتَر للملك الأراغونيّ سانشو راميريث، الذي تمكَّن من خلال السَّيطرة عليها من بسْط نفوذه على الأراضي الواقعة على طول الخطِّ المارّ ببلدة القناطر (Alcanadre) حتّى وشقة (Costa 2001: 143). أخيراً، وبعد سقوط بَربُشتَر، كقاعدة دفاع أماميَّة عن مدن الثَّغر الأعلى، صار سانشو يتطلَّع للسَّيطرة على المزيد، وبخاصَّةٍ مدينة سرقُسطة (النَّشّار ٢٠٠٣: ص٢٧). ومن ناحية أخرى؛ فبعد أن استقرَّت الحاميةُ الصَّليبيَّة في بَربُشتَر، انتهجت سياسة شنّ الحملات على القرى والقلاع الإسلاميَّة القريبة؛ بغرض السَّلب والحصول على المواد التَّموينيَّة، ووقف إرمنجول الثّالث على رأسها في عديدٍ من المرّات، غير أنَّه ما لبث أنْ لقي مصرعه خلال إحدى حملاته على نواحي منتشون عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، فنُقلت جثَّته أولاً إلى بَربُشتَر، ثمَّ دُفنت بجوار كنيسة القدّيس بيدرو (San Pedro)، في حصن أجير (Ager) (Duran 1993: 77).

صدى سقوط بَربُشتَر في الأندلس، واستعادتها عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م

صدى سقوط بَربُشتَر: نقلاً عن ابن حيّان المعاصر لمأساة بَربُشتَر، ذكر ابن عذاري (٢٠١٣: ٤٨٠/٢) أنَّ أخبارها وصلت إلى مدينة قرطبة في رمضان من عام

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٤٥٦هـ/أغسطس١٠٦٤م، أي في الشَّهر نفسه الذي سقطت فيه، وبدأ النّاس يتناقلون الأحاديث عن أهوال المجازر التي حلَّت بأهلها، وباتوا يخشون من انتقال أحداثها إلى مدينتهم، ثمَّ انتقلت أخبارُها إلى مختلف الأنحاء، وعمَّها الحزن والرَّوع لتلك الفظائع التي لم يُسمع بمثلها. وألقى ابنُ حيّان باللائمة على أهل بَربُشتَر بخاصَّة والأندلسيّين بعامَّة، وحمَّلهم المسؤولية عن هذا الابتلاء، بسبب ركونهم إلى الغرور، وغفلتهم عن سدِّ الثُّغور، وبُعدهم عن طاعة خالقهم والتَّمثُّل بسيرة نبيهم، واقتراف الخطايا والذُّنوب (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٨٠/٢-٤٨١؛ المقَّري ١٩٨٨: ٤٥٢/٤). وهذا ما أشار إليه الفقيهُ أبو محمَّد، عبدُ الله بن فرج اليحصبي، المكنّى بابن العسّال (ت. ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) في مرثيَّته حول مأساة بَربُشتَر، وممّا جاء فيها: لَوْلا ذنوبُ المسلمينَ وأنَّهمْ .. ركبوا الكبائرَ ما لهُنَّ خَفاءُ .. ما كان يُنصَرُ للنَّصارى فارسٌ .. أبداً عليهم فالذُّنوبُ الدَاءُ (يُنظَر شِعره: الحِميَري ١٩٨٨: ٤٠-٤١).

ولم يغفل ابن حيان تقريعَ أمراء الطَّوائف على تقصيرهم وتخاذلهم، واكتفائهم بحفر الخنادق، وتعلية الأسوار، وتوثيق البنيان، خوفاً من تعرُّضهم للمصير ذاته (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٨١/٢؛ المقَّري ١٩٨٨: ٤٥٣/٤). ومن ناحيةٍ أخرى؛ ارتفعت الدَّعوات لجمع الشَّمل من جانب العلماء كالقاضي الفقيه أبي الوليد الباجي(ت. ٤٧٤هـ/١٠٨١م)[٤٠] الذي طاف مدن الأندلس يحثُّ على الجهاد واستعادة مدينة بَربُشتَر وسائر المدن الأندلسيَّة الواقعة في قبضة الإسبان (الحجي ١٩٨١: ٣٣٦، ٣٤٢)، وبدوْره رفع الوزيرُ الفقيهُ أبو حفص الهوزني (ت. ٤٦٠هـ/١٠٦٨م)[٤١] هو الآخر لواء الجهاد (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٢، ٨١/١)، وكتب الوزيرُ الكاتبُ أبو محمَّد عبد الله بن أبي عمر بن عبد البرّ (ت. ٤٧٤هـ/١٠٨١م) رسائلَ طويلةً باسم أهل بَربُشتَر، وزَّعها على أنحاء الأندلس، يصفُ الفواجعَ التي حلَّت بهم، ويستثير الهمم، ويدعو إلى الوحدة، ويحذِّر من تكرار نكبات مماثلة، ويدعو إلى الجهاد من أجل

---

[٤٠] **أبو الوليد الباجي**: سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب التُّجيبي الباجي. ولد بمدينة بطليوس (Badajoz) عام ٤٠٣هـ/١٠١٣م، وتعلَّم في قرطبة، ثمَّ سافر إلى مكَّة وبغداد طلباً للعلم، ولما عاد إلى الأندلس عاش حيناً في بلاط ميورقة، وحيناً آخر في كنف المقتدر بن هود، واشتهر بردوده على ابن حزم، وكان قرينَه في غزارة العلم وسعة المعرفة. ووصف بأنَّه من أئمَّة المسلمين. وتوفِّي عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م (عنان ١٩٩٧: ٤٣٣/٢).

[٤١] **أبو حفص الهوزني**: عمر بن الحسن بن عبد الرَّحمن، الفقيه، وصاحب الجماعة بقرطبة. رحل عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م في طلب العلم، فزار مكَّة وبعض مدن المشرق، ولما عاد إلى الأندلس سكن مرسيَّة (Murcia)، وقُتل عام ٤٦٠هـ/١٠٦٨م بأمرٍ من المعتضد ابن عباد بتهمةٍ لفِّقت له بتعاطي المُسكر (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٢، ٨٢/١-٨٣). يُنظَر شعره يحضُّ فيه على الجهاد: (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٢، ٨٩/١-٩٤). وعن سيرته: (ابن سعيد المغربي ١٩٥٥: ٢٣٩/١-٢٤٠).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

تحريرها (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١/١٧٣-١٧٩؛ عباس ١٩٧٨: ١٨٠-١٨٢). ولحاكم مدينة مُرسية أبي عبد الرَّحمن محمَّد بن أحمد بن إسحق بن طاهر (٤٥٥-٤٧١هـ/١٠٦٣-) في حادثة بَربُشتَر رسالةٌ يردُّ فيها على رسائل وردته بهذا الخصوص، ويُبرز في رسالته حجمَ الخطر المُحدق بالأمَّة، ويدعو إلى استنهاض الهمم والجهاد (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١/٨٧-٨٩).

استعادة بَربُشتَر عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م: لقد أسهم صدى نكبة بَربُشتَر الذي عمَّ بلاد الأندلس، والدَّعوات إلى الجهاد، في التَّعجيل في تحريرها واستعادتها، وعلى ما يبدو فإنَّ هذه الدعوات قد لاقت صداها أولاً في الأوساط الشَّعبيَّة في مدينة سرقُسطة، التي انطلقت منها بعضُ المجموعات غير المنظَّمة، وقامت بمهاجمة الأراضي القشتاليَّة وتخريب ممتلكاتها، ما أغضب الملك فرناندو الأوَّل، الذي كان في الأصل حانقاً على المقتدر لتقاعُسه عن دفع الجزية المتَّفق عليها، فما كان منه إلا أن خرج على رأس جيشه قاصداً بلنسيَّة، في ١٥صفر٤٥٧هـ/ ٢٥ يناير ١٠٦٥م، واخترق أراضي مملكة سرقُسطة، مدمراً عديداً من القرى والمزارع، وعندما وصل بلنسيَّة ضرب عليها الحصار، ولكنَّه فشل في اقتحامها، فعاد إلى ليون، ومات هناك في العام ذاته (عنان ١٩٩٧: ٢/٢٢٤؛ النَّشّار ٢٠٠٧: ٣٣-٣٤).

وبدوْره عقد المقتدرُ بن هود صاحب سرقُسطة عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م العزم على استعادة المدينة "لإصماتِ سوءِ القالةِ عنه" (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١/١٨٩)، بعد أن شعر بالعار؛ بسبب تخاذله عن القيام بواجبه في نجدتها، وبخاصَّةٍ أنه كان أقدر من أخيه على ذلك، فقرَّعه النّاس وحمّلوه مسؤوليَّة حدوث هذه الفجيعة (أرسلان ١٩٣٦: ٢/١٩٣)، فانتهز فرصة انشغال الممالك الإسبانيَّة في خلافاتها الدّاخليَّة وأحوالها السَّيِّئة النّاتجة عن سعي فرناندو الأوَّل ملك قشتالة وليون للسَّيطرة على ممتلكات ملك أراغون سانشو راميريث (ابن الكردبوس ٢٠٠٨: ٢/١٢٢٤)، فضلاً عن حالة الضَّعف والتَّرهل التي كانت تعاني منها حامية بَربُشتَر، وقلَّة عدد أفرادها في ذلك الوقت (دوزي ١٩٩٥: ٣/٨٣).

نادى المقتدرُ بالنَّفير برسْم الجهاد، فحَميت نفوسُ النّاس وتحمَّسوا (ابن عذاري ٢٠١٣: ٢/٤٦١)، وفي الوقت ذاته استنجد بحلفائه من قادة الثُّغور ورؤساء الأندلس، فلبى عديدٌ منهم دعوته (البكري ١٩٩٢: ٢/٩١٠)، ووافاه ملكُ إشبيلية المعتضد بن عباد (٤٣١-٤٦١هـ/١٠٤٠-١٠٦٩م) بخمسمائة فارس من شجعان مملكته وصناديدها (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١/١٩٠)، بقيادة معاذ بن أبي قُرَّة (ابن الكردبوس ٢٠٠٨: ٢/١٢٢٥)، وقيل أنَّه اجتمع لديه من مختلف أنحاء الأندلس ستَّةُ آلاف من الرُّماة (ابن عذاري ٢٠١٣: ٢/٤٦١؛ ابن الخطيب ١٩٥٦: ١٧١)، ثمَّ انطلق بقوّاته إلى بَربُشتَر، ودارت حول أسوارها معاركٌ شديدةٌ كانت الغلَبةُ فيها للجيش الأندلسيّ (البكري ١٩٩٢: ٢/٩١٠). وعندما عاين أفرادُ الحامية الصَّليبيَّة قوَّة

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المسلمين وكثرة رُماتهم، سرى الخوفُ في أوصالهم، فتحصَّنوا خلفَ الأسوار وأغلقوا عليهم أبوابَهم، فأمر المقتدرُ بنقْب الأسوار، إلى أن تمكَّنت القوّات الإسلاميَّة من إحداث ثلمة كبيرة فيها، وحينها أدرك الصَّليبيّون بأنَّ عمليَّة الاقتحام واقعةٌ لا محالة، فبدأ عددٌ كبيرٌ منهم بالهرب، فتلقَّفتهم سيوفُ المسلمين ورماحهم (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦١/٢).

وعندما دخل الجيشُ الإسلاميُّ المدينةَ، أعملَ بحاميتها قتلاً وبنسائهم وذرّيَّتهم أسراً وسبياً (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢)، فقُتل من حاميتها نحو ألف فارس وخمسمائة راجل (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٩٠/١) (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦١/٢؛ المقَّري ١٩٨٨: ٤٥٤/٤)، ومن المحتمل أنْ يكونَ كونت شالون (Chalons) الفرنسيّ قد لقي حتفه في مقاطعة غيبوثكوا (Guipuzcoa) في أقصى شمال شبه الجزيرة الإيبيريَّة خلال فراره من أرض المعركة إلى بلاده، بينما تمكَّن البعضُ بقيادة روبرت كريسبين من الفرار (Castro 1946: 672) ولم يستشهد من المسلمين سوى خمسون (ابن بسّام ١٩٩٧: ق٣، ١٩٠/١) (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦١/٢). وحاز الفاتحون نحو خمسة آلاف سبيَّة (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢) وقيل عشرة آلاف (الحموي ١٩٧٧: ٣٧٠/١)، وغنموا نحو ألفَ فرسٍ وألفَ درع وأموالاً كثيرةً وثياباً جليلة، وساق المقتدرُ ذلك كلَّه إلى سرقُسطة، وكان افتتاحُه للمدينة في الثّامن من جمادى الأوَّلى عام ٤٥٧هـ/السّادس عشر من إبريل ١٠٦٥م (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢)، فارتفع شأنُه وذاع صيتُه في بلاد المسلمين (ابن عذاري ٢٠١٣: ٤٦١/٢؛ مجهول ١٩٧٩: ٧٦)، وتسمّى بالمقتدر بالله (البكري ١٩٩٢: ٩١٠/٢). واحتفالاً بتحرير بَربُشتَر بنى المقتدرُ قصر الجعفريَّة في سرقُسطة، وأمر أن تُكتب في قاعة العرش الآيات الكريمة الآتية: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا، وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (الفتح، ١-٣) (Lafuente 2008: 212).

ومن ناحية أخرى، اعتقد رجالُ الدّين والقساوسة الإسبان أنَّ أسباب قِصَر مدة الصَّليبيّين ببَربُشتَر وهزيمتهم، تعود إلى "تأثُّر حاميتها المسيحيَّة بالبيئة الإسلاميَّة، حيث سيطرت عليهم الرَّفاهيَّة، وانغمسوا في المعاصي والآثام واللهو مع النِّساء" (Castro 1946: 670, 672)، لدرجةٍ أنَّ أحد رجال الدّين، ويُدعى أمادو دي مونتيكاسينو (Amado de Montecasino) أُصيب بالصَّدمة من سلوك المسيحيّين، وتنبّأ بنزول غضب "الرَّب" عليهم قريباً، وهذا ما حدث بالفعل (Costa 2001: 142).

سقوط بَربُشتَر بيد الإسبان عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م:

توفِّي المقتدرُ بن هود عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م (ابن الأبّار ١٩٨٥: ٢٤٨/٢؛ ابن خلدون ٢٠٠٠: ٢٠٩/٤)، وبدلاً من اتِّخاذ الإجراءات اللازمة التي من شأنها المحافظة على وحدة مملكته اقترف المقتدرُ الخطأ نفسَه الذي كان والده قد ارتكبه،

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

حيث قام قُبيل وفاته بتقسيم أعمال مملكته بين ولديه، فخصَّ ولدَه الأكبر يوسف المؤتمن (ت. ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) بالجزء الغربيّ من أراضيه (سرقُسطة، تُطيلة، ووشقة وقلعة أيوب)، والمنذر (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) بالمنطقة الشَّرقيَّة السّاحليَّة (لاردة، طرطوشة ودانية)، التي كان يحكمها بالفعل، بالتَّفويض خلال حياة والده (Cervera 1999: 51).

وبعد موت والدهما اندلعت بين الأخوين حربٌ أهليَّة، ما مكَّن ملك أراغون ونافار سانشو راميريث في عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م من الاستيلاء على خطِّ القلاع الواقعة مقابل المدن والمواقع الرَّئيسة لمملكة سرقُسطة (يُنظَر: الخارطة: Anton 2010: 64): مونونيس (Muñones) وسيكاستيلا (Secastilla) وجراوس المواجهة لبَربُشتَر، وأيربي (Ayerbe) وبُلية (Bolea) وأراسكويس (Arascués) المواجهة لوشقة، وأرغويداس (Arguedas) المواجهة لتطيلة (Cervera 1999: 51). وبعد وفاة يوسف المؤتمن عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م خلفه في حكم سرقُسطة وأعمالها ولدُه أحمد المستعين بالله الثّاني (ت. ٥٠٣هـ/١١٠٩م) (ابن خلدون ٢٠٠٠: ٢٠٩/٤؛ القلقشندي ١٩١٥: ٢٥٥/٥)، فحافظ على علاقات طيّبة مع المرابطين، وبقيت المدنُ الحدوديَّة الواقعة تحت نفوذه تشكِّل كياناً مستقلاً، وأسهم في إبطاء حركة المسيحيّين، إلا أنَّ مملكة أراغون كانت تضغطُ بشكلٍ كبيرٍ على النَّواحي الشَّماليَّة الشَّرقيَّة، وتمكَّنت من الاستيلاء على عديدٍ من المواقع الدِّفاعيَّة (Cervera 1999: 55). ومن أجل استكمال السَّيطرة على المدن الرَّئيسة في الثَّغر الأعلى، قام سانشو راميريث عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م ببناء سلسلة من القلاع على مشارف المدن والحصون الإسلاميَّة الكبرى (Utrilla 2005: 104-105). ثمَّ ما لبثت القواعد الأندلسيَّة في كورة بربطانية والمواقع القريبة أن سقطت تباعاً؛ ففي العام المذكور سقطت منتشون، ثمَّ بلغي عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م، والمنار عام ٤٨٦هـ/١٠٩٣م (Cervera 1999: 56) (للاطِّلاع على خريطة مراحل سقوط المواقع الأندلسيَّة الشَّماليَّة المقابلة لمملكة سرقسطة؛ ينظر: Anton 2010: 98).

وفي عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م تولّى عرشَ أراغون الملك بيدرو الأوَّل (Pedro I) (٤٨٧-٤٩٧هـ/١٠٩٤-١١٠٤م)، وكان صليبيّاً متعصِّباً، لدرجةِ أنَّه كان يخطِّط لمرافقة الحملات الصَّليبيَّة إلى القدس (Lafuente 1998: 53)، فأكمل مشوارَ أسلافه في السَّيطرة على مزيد من المواقع الأندلسيَّة، ونشط في تحويل المساجد إلى كنائس وإغداق الصِّلات الوفيرة عليها (عنان ١٩٩٧: ٤٠٦/٢). وعقد بيدرو الأوَّل العزم على السَّيطرة على مدينتيّ وشقة وبَربُشتَر، ومن أجل ذلك قامت قواتُه خلال عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م بتعزيز وجودها في عددٍ من البلدات الصَّغيرة الواقعة بين نهْريّ القناطر (Alcanadre) وسينكا لحرمان وشقة من تلقّي النَّجدات، وفي الوقت نفسه تضييق الخناق على بَربُشتَر، ما مكَّنه في أول ذي الحجَّة ٤٨٩هـ/نهاية نوفمبر

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

١٠٩٦م من السَّيطرة على وشقة، بعد أنْ قتلَ من أهلها أربعين ألفاً (Utrilla 2005: 108).

واتَّبع بيدرو الأوَّل من أجل السَّيطرة على بَربُشتَر الاستراتيجيَّةَ ذاتَها التي اتَّبعها حيالَ وشقة، حيث أفاد من قلعتيّ بويو (Pueyo) وترابا (Traba) اللتين بناهما عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م مقابل بَربُشتَر؛ من أجل قطع اتِّصالها مع المدن الجنوبيَّة، وبخاصَّةٍ لاردة وإفراغة[٤٢]. ثمَّ بدأ حصارُها في ربيع ٤٩٣هـ/ربيع ١١٠٠م، إلى أن تمكَّنت القوّات المسيحيَّة من دخولها في ٦ ذي الحجة ٤٩٣هـ/١٨ أكتوبر ١١٠٠م، وكافأ بيدرو قادة مملكته الذين ساعدوه على طرد المسلمين، الذين وصفهُم بالأشرار (Utrilla 2005: 110)، وأعلنَ أنَّ "جميعَ سكّان بَربُشتَر أحرارٌ من كلِّ اضطهادٍ شرّيرٍ إلى الأبد" (Perez 1985: 1163).

وتمَّ تحويلُ مسجد بَربُشتَر الرّئيس إلى كاتدرائيَّة باسم القديسة مريم (Santa Maria)، وأصبحت المدينةُ أُسقفيَّةً بمرسومٍ من البابا باسكوال الثّاني (Pascual II) (٤٩٢-٥١٢هـ/١٠٩٩-١١١٨م)، صدرَ قبل ستَّة أشهرٍ من السَّيطرة عليها. ودعا بيدرو الأوَّل مواطنيه إلى الانتقال إليها وإعمارها. ومن أجل تشجيعهم على ذلك وعدهم بامتيازاتٍ خاصَّة، وأعفاهم من العُشور وسائر أنواع الضَّرائب، وبخاصَّةٍ المفروضة منها على القُطعان؛ لحماية الثَّروة الحيوانيَّة، واستجاب له كثيرون، فنمتْ المدينة بشكلٍ ملحوظ، وامتدَّت بيوتُها إلى الضِّفة اليُمنى لنهْر بارة في اتِّجاه طريق مُنتشون. وأمر الملكُ الأراغونيُّ بإعادة تخطيط أحيائِها وجعْلها على هيئة كتلٍ منتظمةٍ تفصلُ بينها شوارع، ثمَّ أُحيطَت بسورٍ جديدٍ انفتحت فيه بوابةُ سان فرانسيسكو (San Francisco) باتِّجاه السَّد المبنيّ على النَّهْر، وكانت هذه البوّابة موجودةً في الأصل (Perez 1985: 1178, 1163). كما عمل الأراغونيّون على تعزيز مواقعهم على ضفَّتي نهْر سينكا، من أجل منع قوات مدينة لاردة من استعادتها. وشكَّلت السَّيطرةُ الإسبانيَّة على كلٍّ من وشقة وبَربُشتَر ضربةً قويَّةً لمملكة سرقُسطة (Lacarra 1972: 290-291). ومن ناحيةٍ أخرى، التحق عديدٌ من فرسان بَربُشتَر الجُدد ورجال الدّين فيها بالحملات العسكريَّة الصَّليبيَّة ضدَّ بلاد الشَّرق الأدنى الإسلاميّ، "شكراً للرب"، وردّاً للجميل الذي أسدتهُ البابويَّةُ لهم (Utrilla 2005: 111).

وظلَّ أحمدٌ المستعين بالله بن هود يكابدُ عناء الدِّفاع عن أملاكه حتّى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م، حيث قُتل على يد قوّات الفونسو الأوَّل المحارب (Alfonso I) (٤٩٧-٥٢٨هـ/١١٠٤-١١٣٤م) ملك أراغون بظاهر سرقُسطة (ابن خلدون ٢٠٠٠: ٢٠٩/٤؛ القلقشندي ١٩١٥: ٢٥٥/٥)، فخلفه ابنُه عبد الملك الملقَّب بعماد الدَّولة

[٤٢] **إفراغة**: مدينةٌ على نهر سينكا بغربيّ لاردة، بينهما ١٨ ميلاً، حسنة البناء، وفيها قلعةٌ حصينةٌ وبساتين لا نظير لها (الحِميَري ١٩٨٤: ٤٨).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

(ت. ٥٣٦هـ/١١٤١م) ، وفي عهده أنهى المرابطون حكمَ أسرة بني هود في مدينة سرقُسطة عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م (ابن خلدون ٢٠٠٠: ٤/٢١٠). وحينئذ توجَّس ملكُ أراغون المذكور خيفةً من وجود المرابطين على حدود بلاده، فعقد العزمَ على السَّيطرة على سرقُسطة بدعمٍ من البابويَّة، حيث عُقد اجتماعٌ أسقفيٌّ في طولوشة (Toulouse) عام ٥١١هـ/١١١٧م، حضرهُ عديدٌ من الأساقفةِ، ومنهم أسقُف بَربُشتَر، وتقرَّر فيه مساعدة الإسبان في المضيّ قُدُماً للسَّيطرة على مزيدٍ من المدن الأندلسيَّة، وفي مقدِّمتها سرقُسطة عاصمة الثَّغر الأعلى (Lacarra 1972: 306)، ما أدّى في نهاية الأمر إلى السَّيطرة عليها، وذلك في الرّابع من رمضان عام ٥١٢هـ/ الثَّامن عشر من ديسمبر ١١١٨م (القلقشندي ١٩١٥: ٥/٢٥٥)، فخسر الأندلسيّون بسقوطها ولايةً لطالما اضطلعت بدور مهمٍّ في الدِّفاع عن الثُّغور الشَّماليَّة، وفي وقف الزَّحف الإسبانيّ والفرنجيّ نحو الأراضي الجنوبيَّة.

شكل ١: الأندلس/مدن الشَّمال المصدر: (Anton 2010: 213)

شكل ٢: موقع مدينة بربشتر المصدر: (Anton 2010: 54)

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

النَّتائج:

تقع بَربُشتَر في كورة بربطانية بالثَّغر الأعلى الأندلسيّ، وضمَّ عملُها عديداً من الحصون، وتمتَّع موقعها بأهمية كبيرة نظراً لارتفاعه وإشرافها على نهر فيرو، ووقوعِها مقابل خط الحدود مع الممالك الإسبانية، وبخاصة مملكة أراغون.

فُتِحت بَربُشتَر في الفترةِ الواقعةِ بين (٩٣-٩٥هـ/٧١٢-٧١٤م). ويعتقد الباحثُ أنَّها اشتقَّت اسمَها من بربطانية، وربَّما أخذته من اسم التَّلِّ الصَّخريّ الرّومانيّ سانتا بربارة (Santa Barbara) الذي احتضن نواتَها الأولى، ومن ناحيةٍ أخرى؛ كانت بَربُشتَر في بداية أمرها عبارةً عن حصنٍ، ولم تتحوَّل إلى مدينة سوى في عهد الخليفة عبد الرَّحمن الثّالث خلال النِّصف الأوَّل من القرن الرّابع الهجريّ/العاشر الميلادي، واشتملت على مختلف المرافق العمرانيَّة المكوّنة للمدينة الإسلاميَّة.

ارتبط تاريخُ مدينة بَربُشتَر بشكلٍ وثيقٍ بالأحداث السِّياسيَّة والعسكريَّة التي دارت في المدن والحصون القريبة، وبخاصَّةٍ مدينة وشقة، التي كانت بَربُشتَر وسائر مواقع بربطانية تتبعُ لها من النّاحية الإداريَّة في معظم الأحيان. وممّا ميَّز هذه الأحداث؛ التَّنافُس الشَّديد بين مختلف القوى على السَّيطرة عليها؛ لما لها من أهميَّة استراتيجيَّة باعتبارها قاعدة دفاعيَّة وهجوميَّة مهمَّة، فضلاً عن أهميَّتها الاقتصاديَّة.

ظهر أوَّلُ دوْرٍ سياسيٍّ لافتٍ لمدينة بَربُشتَر في نهاية القرن الثّاني الهجريّ/الثّامن الميلاديّ، حيث كانت هي ومدينة وشقة تحت حكم قبيلة بني تُجيب العربيَّة، وحينذاك اضطلعت بدورٍ كبيرٍ في مواجهة بهلول بن مرزوق الثّائر ضدَّ الدَّولة خلال الفترة الواقعة بين (١٨١-١٨٦هـ/٧٩٧-٨٠٢م). وبقيت كذلك في النِّصف الأوَّل من القرن التّالي، وفيه أفاد التُّجيبّيون من بَربُشتَر وحصنيّ مُنتشون والقصر التّابعيْن لها خلال مقارعتهم لتمرُّدات بني قَسيّ.

حرصت قرطبةُ على تعيين حكّامٍ للمدينة ممَّن تثق بولائهم، بهدف المحافظة على هذا الموقع المهمّ؛ وعلى الرَّغم من ذلك؛ استمرَّت أطماعُ بني قسيّ في منطقة بربطانية خلال القرن الرّابع الهجريّ/العاشر الميلاديّ، حيث قاموا بانتزاعها ومُنتشون والقصر من آل الطَّويل حكّام وشقة، ما استنزف الكثيرَ من طاقات الدَّولة ومقدَّراتها خلال محاولات إخضاعهم، فضلاً عن صرفِها عن واجباتها في مقارعة الممالك الإسبانيَّة الطّامعة في الأراضي الأندلسيَّة.

نظراً لأهميَّة موقع بَربُشتَر، فقد اتَّخذ منها الحُكّامُ الفارّون من مدنهم الثّائرة عليهم ملجأً ومكاناً للحماية. وعلى صعيد آخر؛ اتَّخذت عديدٌ من الحملات الإسلاميَّة مدينة بَربُشتَر وحصونها ممرّاً للقوّات أو قواعد انطلاق نحو الأراضي الإسبانيَّة، كحملة المظفَّر سيف الدَّولة، عبد الملك بن محمَّد بن أبي عامر ضدَّ بمبلونة عاصمة مملكة نافار عام ٣٩٦هـ/١٠٠٦م. ومن ذلك أيضاً حملة الخليفة عبد الرَّحمن الثالث عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م، الذي أسند خلالها ولاية وشقة وبَربُشتَر لأحدِ قادتِه من آل الطَّويل،

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الذين ظلّوا يحكمونَها وحصونَها وقراها حتّى نهاية عهده. وقُبيل فترة حكم بني هود كان الثَّغر الأعلى تحت حكم التُّجيبيّين، وفي عهد المقتدر بني هود (٤٣٨-٤٧٤هـ/١٠٤٦-١٠٨١م) انتظمت بَربُشتَر تحت حكم مملكة سرقسطة، إلا أنَّها كانت تتبع مدينة لاردة، وتخضعُ لحُكم أخيه يوسف المظفَّر.

خلال النِّصف الثّاني من القرن الخامس الهجريّ/الحادي عشر الميلاديّ كانت الخلافات الدّاخليَّة تعصفُ بالممالك الإسبانيَّة، ما أدّى إلى قُرْبِ انهيار مملك أراغون، لولا تدخُّل البابا ألكسندر الثّاني الذي قام بتجريد حملة صليبيَّة ضد بَربُشتَر عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، والتي عُدَّت صورةً مصغَّرةً عن الحروب الصَّليبيَّة ضدَّ المسلمين في بلاد الشَّرق الأدنى. وعلى الرَّغم من المبالغة التي انطوت عليها الرِّوايات التّاريخيَّة حول عدد القتلى من المسلمين، فإنَّها تدلُّ على الوحشيَّة التي اتَّصف بها الغزاة، وعلى تجرُّدهم من أبسط الصّفات الإنسانيَّة.

تبيّن الدِّراسة أهميَّة الوحدة والتَّلاحم والتَّعاون المُشترك في مواجهة الخُطوب، وظهر ذلك جليّاً في الحملة التي قام بها المقتدر أحمد بن هود والإشبيليّين عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، ما أدّى إلى طرْد الغُزاة من مدينة بَربُشتَر واستردادها. وتبيّن الدِّراسة بالمقابل خطورةَ الفُرقة والاقتتال الدّاخلي على أحوال البلاد ومستقبلها، وذلك عندما تولّى أمرَ مملكة سرقسطة أبناءُ المقتدر بن هود وأحفاده بعد وفاته عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م، إذ اضطرمت بينهم نارُ الفتنة والحرب الأهليَّة؛ فسقطت المدنُ الحدوديَّة في كورة بربطانية على الثَّوالي، وصولاً إلى مدينة بَربُشتَر التي انتزعها ملكُ أراغون بيدرو الأوَّل عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م، فشكَّل ذلك ضربةً قويَّةً لما تبقّى من مملكة سرقُسطة الأندلسيَّة.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المصادر والمراجع العربيَّة

١ـ ابن الأبّار، محمَّد بن عبدالله (ت. ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، (١٩٨٥)، الحلَّة السَّيراء، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، القاهرة.
٢ـ أرسلان، شكيب، (١٩٣٦)، الحلل السُّندسية في الأخبار والآثار الأندلسيَّة، جزءان، المكتبة التِّجارية الكبرى، ط١، فاس.
٣ـ بروفنسال، ليفي، (٢٠٠٠)، تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبيَّة (٧١١-١٠٣١م)، ترجمه إلى الإسبانيَّة: (إميليو جارثيا جومث)، ترجمه إلى العربيَّة: (علي عبد الرَّؤوف البمبي، علي إبراهيم منوفي وعبد الظّاهر عبد الله)، مراجعة: (صلاح فضل)، المجلس الأعلى للثَّقافة، ط٣، مدريد.
٤ـ ابن بسام، علي بن بسام الشنتريني (ت. ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، (١٩٩٧)، الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (٤أقسام)، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثَّقافة، (د. ط)، بيروت.
٥ـ البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز (ت. ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، (١٩٩٢)، المسالك والممالك، جزءان، تحقيق: أدريان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، (د. ط)، (د. م).
٦ـ بني ياسين، يوسف، (٢٠١١)، نهاية الخلافة الأمويَّة في الأندلس، قراءة في المجريات والأسباب (٤١٤-٤٢٢هـ/١٠٢٣-١٠٣١م)، الجامعة الأردنيَّة، دراسات، العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، مج٣٨، ع١، ص(١١٢-١٢٨).
٧. بوتشيش، إبراهيم، (١٩٨٥)، أثر الإقطاع في تاريخ الاندلس السِّياسي من منتصف القرن الثّالث الهجريِّ حتّى ظهور الخلافة (٢٥٠-٣١٦هـ)، مطابع منشورات عكاظ، (د. ط)، الرِّباط.
٨. حتاملة، محمَّد، (١٩٩٦)، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، وزارة الثَّقافة، ط١، عمّان.
٩. الحجّي، عبد الرَّحمن، (١٩٨١)، التّاريخ الأندلسيّ من الفتح الإسلاميِّ حتّى سقوط غرناطة، دار القلم، ط٢، دمشق، بيروت.
١٠. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، (١٩٧٧)، معجم البلدان، ٥أجزاء، دار صادر، (د. ط)، بيروت.
١١. الحِميَري، محمَّد بن عبد المنعم (ت. ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، (١٩٨٤)، الرَّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت.
١٢. ابن الخطيب، لسان الدّين، محمَّد بن عبد الله (ت. ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، (١٩٥٦)، تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط٢، بيروت.
١٣. ابن خلدون، عبد الرَّحمن بن محمَّد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، (٢٠٠٠)، تاريخ ابن خلدون، ٧أجزاء، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، (د. ط)، بيروت.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

١٤. أبو الخيل، محمَّد، (٢٠٠٢)، الأندلس في الرُّبع الأخير من القرن الثَّالث الهجري، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، (د. ط)، الرِّياض.
١٥- دوزي، رينهرت، (١٩٩٥)، المسلمون في الأندلس، ٣أجزاء، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، (د. ط)، القاهرة.
١٦- السّامرائي، خليل، (١٩٧٦)، الثَّغر الأعلى الأندلسي، دراسة في أحواله السِّياسيَّة، مطبعة أسعد، (د. ط)، بغداد.
١٧- السّامرائي، خليل؛ طه، عبد الواحد؛ مصلوب، ناطق، (٢٠٠٠)، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت.
١٨- السَّرجاني، راغب، (٢٠١١)، قصَّة الأندلس من الفتح إلى السُّقوط، مؤسَّسة اقرأ، ط١، القاهرة.
١٩- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، (١٩٥٥)، المغرب في حُلى المغرب، جزءان، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، (د. ط)، القاهرة.
٢٠- العبّادي، أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسَّسة شباب الجامعة، (د. ط)، الإسكندريَّة، (د. ت).
٢١- ابن عذاري، أحمد بن محمَّد (ت. ٧١٢هـ/١٣١٢م)، (٢٠١٣)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٤أجزاء، تحقيق: بشّار عوّاد مخلوف ومحمود بشّار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط١، تونس.
٢٢- عباس، إحسان، (١٩٧٨)، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثَّقافة، ط٥، بيروت.
٢٣- العذري، أحمد بن عمر (ت. ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، (د. ت)، نصوص عن الأندلس، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدِّراسات الإسلاميَّة، (د. ط)، مدريد.
٢٤- عمران، محمود، (د. ت)، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعيَّة، (د. ط) الإسكندريَّة.
٢٥- عنان، محمَّد، (١٩٩٧)، دولة الإسلام في الاندلس، ٤أجزاء، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة.
٢٦- الغفيلي، غادة (٢٠٢٤)، الحملة الصليبية على مدينة بربشتر في الأندلس في عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، المجلة العلمية بكلية الآداب، ع٥٥، ص(٢١٣-٢٥٠).
٢٧- القلقشندي، أحمد بن علي (ت. ٨٢١هـ/١٤١٨م)، (١٩١٥)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤جزء، المطبعة الأميريَّة، دار الكتب الخديويَّة، (د. ط)، القاهرة.
٢٨- ابن القوطيَّة، محمَّد بن عمر (ت. ٣٦٩هـ/٩٧٧م)، (١٩٨٩)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ط٢، بيروت والقاهرة.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٢٩- ابن الكردبوس، عبد الملك التّوزري (ت. ٥٧٥هـ/١١٧٩م)، (٢٠٠٨)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ٣أجزاء، تحقيق: صالح الغامدي، الجامعة الإسلاميَّة، ط١، المدينة المنورة.
٣٠- مجهول، كتاب الحلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المراكشيَّة، (١٩٧٩)، تحقيق: سهيل زكّار وعبد القادر زمامة، دار الرَّشاد الحديثة، ط١، الدّار البيضاء.
٣١- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، (١٩٨٩)، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط٢، القاهرة، بيروت.
٣٢- مجهول، (٢٠٠٧)، تاريخ الأندلس، دار الكتب العلميَّة، ط١، بيروت.
٣٣- المقَّري، أحمد بن محمَّد(ت. ١٠٤١هـ/١٦٣٢م)، (١٩٨٨)، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرَّطيب، ٨أجزاء، دار صادر، (د. ط)، بيروت.
٣٤- النَّشار، محمَّد، (٢٠٠٣)، دراسات في تاريخ الحروب الصَّليبيَّة في الأندلس، عين للدّراسات والبحوث، ، ط١، القاهرة.
٣٥- النَّشار، محمَّد ، (٢٠٠٧)، دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، عين للدِّراسات والبحوث، ط١، القاهرة.
٣٦- النُّويري، أحمد بن عبد الوهّاب(٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، (٢٠٠٤)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ٣٢جزء، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلميَّة ط١، بيروت.

Foreign references

1- Anton, J. (2010) Atlas historico de la Espana medieval, Ilustraciones: Luis M. Bilbao, Madrid: Editorial Sintesis, S. A.
2- Aristizabal, L. (2007). Norman and Anglo-Norman Participation in the Iberian Reconquista c.1018 - c.1248, Thesis submitted to the University of Nottingham for the degree of Doctor of Philosophy.
3- Arteta A. (1981). Historia de Aragon: La formación territorial, Zaragoza: Anubar.
4- Ayala, C. (2013). En los orígenes del cruzadismo peninsular: el reinado de Alfonso VI (1065-1109), Imago Temporis. Medium Aevum, VII, pp. (499-537).
5- Castro, J. (1946). La reconquista de las tierras del Ebro, Principe de Viana, Ano (7) n. 25, pp. 657-694.
6- Cervera, M. (1999). El Reino de Saraqusta, Espana: Caja de Ahorros de la Inmaculada de Aragón.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

7- Costa, M. (2001). Historia del Condado de Ribagorza, Instituto de Estudios Altoaragoneses: Diputación de Huesca.
8- De Asso, I. (1798). Historia de la economia politica de Aragon. Zaragiza: Francisco Magallon.
9- Duran, A. (1993). Ramiro I de Aragón, Zaragoza: Ibercaja.
10- Esparza, J. (2009). La gran aventura del Reino de Asturias: Así empezó la reconquista (Historia divulgativa), Madrid: La Esfera de los Libros.
11- Esteban J., Botaya, M., Garcia, F. (2008). La fortaleza andalusí del Cerro Calvario (La Puebla de Castro, Huesca), propuesta de identificación de la misma con Castro Muñones, Aragón en la Edad Media, Nº 20, pp. (85-102).
12- Ferreiro, Alberto (1983): The siege of Barbastro 1064-1063: a reassessment. Journal of Medieval History, North Holand: Elsevier Science Publishers, vol. 9, pp. (129-144).
13-García, J. (2000). Historiografía de las Cruzadas, Espacio, tiempo y forma. Serie III, Historia medieval, N. 13, pp. (341-396).
14- Lacarra, J. (1972). Historica politica del Navarra, desde sus origenes hasta su incorporación a Castilla. I, Pamplona: Editorial Aranzadi.
15- Lafuente, J. (1998). La reconquista del Velle del Ebro. Madrid: Millitaria, Revista de Cultura Militar, n.12, pp. (49-67).
16- Lafuente, J. (2008). El diseno urbano de la Zaragoza Islamica, Madrid: Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos en Madrid, Las ciudades de Al-Andalus (Zaragoza), vol. 36, pp. (191-225).
17- Molina, A.; Carrasco, D. (2017). Alfonso VII de León y Zafadola rex sarracenorum. Cuadernos de Historia, 46, Departmento de Ciencias Historicas Universidad de Chile, pp. (137-151).

ISSN : *2537-0421* eISSN : *2537-043X*

18- Perez, M. (1985). Las ciudades medievales aragonesas, La Ciudad Hispánica, Madrid: Editorial de la Universidad Complutense.
19- Utrilla J. (2005). Conquista, guerra santa y territorialidad en el reino de Aragón hacia la construcción de un nuevo orden feudal (1064-1194). Congreso de Historia Medieval: Las Cinco Villas aragonesas en la Europa de los siglos XII y XIII celebrado en Ejea de los Caballeros (Zaragoza) los días 16, 17 y 18 de noviembre de 2005, pp. (95-128).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X